



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

رقم:

التعليم والمؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال القرنين (2-3 هـ / 8-9 م) تيهرت أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

تحت إشراف:

د. مرزقلال إبراهيم

إعداد الطالبتين:

- نجاعي نجوى

- زيان أسماء

أعضاء لجنة المناقشة		
الاسم والقب	الجامعة	الرتبة
د. بن حسين مصطفى	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	رئيسا
د. مرزقلال إبراهيم	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	مشرفا ومقررا
أ. بن مجدوب	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441 هـ / 2019-2020



شكر و عرفان

لله الحمد أولا وآخرا ، الذي أنعم علينا بنعمة العلم ، وكرمنا بالعقل وذل لنا السبل لانجاز هذا البحث ، فلك الحمد يالله حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمد بعد الرضا .

نتوجه أولا بالشكر الجزيل والامتنان الخالص إلى الأستاذ المشرف على هذا العمل الدكتور: **إبراهيم مرزقلال** تقديرا لتوجيهاته ونصائحه القيمة واعترافا له بمجهوداته ومتابعته للبحث ، كما نتقدم بشكرنا وامتناننا الخالصين إلى أعضاء لجنة المناقشة المحترمين ، مقدرين لهم مجهوداتهم وتعبهم في قراءة هذه المذكرة .

كما نتقدم بجزيل الشكر لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد لانجاز هذا العمل ولو بالكلمة الطيبة.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى والداي الكريمين :
أمي الحبيبة حفظها الله واطال في عمرها
أبي الغالي حفظه الله ورعاه واطال في عمره
إلى كل أخواتي العزيزات و إخواني وأبنائهم
إلى كل أساتذتي الكرام وخاصة الأستاذ المشرف
الدكتور إبراهيم مرزقلال .
إلى كل صديقاتي اللاتي لم يبخلن عليا بالتشجيع
والدعم وخاصة الغالية ثلجة وسعاد وسمية وهدى
وزهرة وإلى كل زميلاتي وزملائي في العمل
نجوى

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى والداي الكريمين :

حفظهما الله واطال في عمرهما

إلى زوجي الغالي وفلذات كبدي *شيماء ومحمد *

إلى كل أخواتي العزيزات و إخواني وأبنائهم

إلى كل أساتذتي الكرام وخاصة الأستاذ المشرف

الدكتور إبراهيم مرزقلال .

*أسماء *

قائمة المحتويات

الصفحة	المحتويات
/	إهداء
/	شكر وعرفان
/	قائمة المحتويات
/	قائمة المختصرات
ص 1-5	مقدمة
ص 7-22	الفصل التمهيدي: الإطار العام للدراسة.
7	1- جغرافية المغرب الأوسط وحدوده
8	2 - نشأة المذهب الإباضي وانتقال أفكاره الى بلاد المغرب
8	1-2 نشأة المذهب الإباضي
10	2-2 انتقال الإباضية إلى بلاد المغرب
14	3- تأسيس الدولة الإباضية الرستمية
16	1-3 بناء مدينة تيهرت
18	2-3 حكام وأئمة الدولة الرستمية
ص 24-40	الفصل الأول : العوامل المساعدة على إزدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط خلال القرنين (2-3هـ)
24	1- العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية
24	1-1 العوامل السياسية
25	2-1 العوامل الاجتماعية
26	3-1 العوامل الاقتصادية
29	2- مكانة العلم والتعليم لدى الأئمة الرستميين وعنايتهم به
29	1-2 سياسة التسامح المذهبي والتعايش السلمي

30	2-2 تشجيع وعناية الأئمة الرستميين بالعلم والعلماء
31	3- العلاقات الثقافية والرحلات العلمية والتجارية
31	1-3 الصلات الثقافية بين تيهرت وغيرها من الدول
36	2-3 الرحلات العلمية والتجارية ودورهما
ص 42-60	الفصل الثاني: المؤسسات التعليمية وأصناف العلوم
42	1- المؤسسات التعليمية في الدولة الرستمية
42	1-1 الكتاب
43	2-1 المساجد والجوامع
44	3-1 المكتبات
46	2- أصناف العلوم وأهم العلماء
46	1-2 العلوم النقلية
51	2-2 العلوم العقلية
59	3- مكانة المرأة الرستمية العلمية
ص 62-76	الفصل الثالث: مراحل التعليم وطرق إلقاء الدرس
62	1- مراحل التعليم في العهد الرستمي
62	1-1 مرحلة التعليم الابتدائي
66	2-1 مرحلة التعليم الثانوي (المتوسط)
66	3-1 مرحلة التعليم العالي
67	2- طرق إلقاء الدرس
68	1-2 طريقة التلقين والحفظ (التكرار)
70	2-2 طرق التعليم في المراحل العالية
72	3- نظام التعليم الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية

73	1-3 نظام العزابة (الحلقة)
74	2-3 القائمين على نظام العزابة (هيئة العزابة)
75	3-3 شروط الانتساب إلى العزابة
78	خاتمة
82	قائمة المصادر والمراجع

الاختصار	دلالته
تع	تعليق
تح	تحقيق
تق	تقديم
مر	مراجعة
تص	تصحيح
در	دراسة
تر	ترجمة
إع	إعداد
مج	مجلد
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
د.م	دون مكان
ص	الصفحة
ع	العدد
ط	الطبعة

مقدمة

مقدمة :

عنى المسلمون منذ القديم بطرائق التدريس ومؤسسات التعليم،لما لهم من شأن في العالم العربي والإسلامي،فقد حث الاسلام على العلم وهنالك نصوص كثيرة وردت في القرآن والحديث تشير الى فضل العلم والعلماء ومنها : قوله تعالى " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون " الزمر الآية 9،وقوله أيضا " يرفع الله الذين آمنو منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير " المجادلة الآية 11، ومن الأحاديث الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم " من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة،وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء" رواه مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة،وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم " مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة ".

وبما أن بلاد المغرب جزء من البلاد الإسلامية فقد اعتنوا أيضا بالعلم وتعليمه ، هذه الأرض التي شهدت العديد من التطورات والأحداث التاريخية منذ القديم ، إلى أن جاءت الفتوحات الإسلامية في النصف الأول من ق 1 هـ والتي كان لها دور كبير في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه في أوساط البربر،غير أنه ومع بداية عصر الولاة الأمويين وانتهاجهم لسياسة التعسف والظلم ضد المغاربة البربر أدى ذلك إلى ظهور تيارات وحركات مناهضة للدولة الأموية ومن بعدها العباسية ،ومنها الحركات الخارجية وأشهرها الصفرية و الإباضية ، هذين المذهبين اللذين تمكنا من تأسيس كيانات سياسية مستقلة عن الخلافة في المشرق، فأُسست الصفرية الدولة المدرارية في المغرب الأقصى بينما أسست الإباضية الدولة الرستمية في المغرب الأوسط ،هذه الأخيرة التي أسسها عبد الرحمن بن رستم كأول دولة مستقلة بالمغرب الأوسط والتي تمكنت في فترة وجيزة من بسط نفوذها على منطقة واسعة من بلاد المغرب ، كما عرفت بازدهارها في جميع المجالات ، وخاصة الجانب العلمي ،فأصبحت حواضرها قبلة لطلاب العلم من كل بقاع

العالم الإسلامي ، وعجت بالعلماء وظهرت العديد من العلوم ، كل هذا حفزنا للبحث والتعمق لمعرفة نوع التعليم وطرقه في هذه الدولة وأهم مراكزه ومؤسساته، وفي هذا الإطار يندرج موضوع دراستنا الموسومة بـ "التعليم والمؤسسات التعليمية في المغرب الأوسط خلال القرنين 2-3هـ/8-9م"(تيهت انموذجا) .

***أهمية الدراسة :** لهذه الدراسة أهمية علمية حضارية كونها تسلط الضوء على جانب من الجوانب الحضارية للدولة الرستمية من خلال عناية أئمتها بالجانب العلمي والتعليمي لهذه الدولة وانعكاس ذلك على الفرد و المجتمع .

كما أن للدراسة أهمية أكاديمية كونها تضيف رصيدا معرفيا للباحثين والمهتمين بالدراسة في هذا الجانب.

أما عن الأسباب التي دعتنا لاختيار هذا الموضوع فهناك:

-أسباب ذاتية :

-الرغبة في دراسة هذا الجانب بالضبط ومحاولة منا لإضفاء الجديد للدراسات المتخصصة في هذا المجال.

- الرغبة في معرفة الجوانب الايجابية لهذه الدولة وما أضافته للحضارة الإسلامية عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة.

-أسباب موضوعية :

-تسليط الضوء على السياسة المنتهجة من قبل الأئمة الرستميين والعوامل التي ساعدتهم على النهوض بقطاع التعليم ومؤسساته .

- توفير دراسة متخصصة للطلبة والباحثين الراغبين في الاستزادة في المجال العلمي في هذه الفترة الزمنية .

***أهداف الدراسة :** الهدف من هذه الدراسة وهو تسليط الضوء على مدى نجاعة السياسة المنتهجة من قبل الحكام الرستميين ، والطرق التي اتبعوها في تنظيم مراحل التعليم وتوفير الوسائل وتنويع طرق وأساليب التدريس.

الاشكالية:وعليه فقد كانت إشكالية الموضوع هي :كيف كان واقع التعليم ومؤسساته وطرقه في الدولة الرستمية ؟وما الدور الذي لعبه العلماء الرستميين للرقى بالتعليم في كل

مراحله؟، وهو ما فرض علينا طرح جملة من التساؤلات من بينها: -ما العوامل التي اسهمت في ازدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط خلال العهد الرستمي؟ وما هي أهم المؤسسات التي أنشأت لهذا الغرض؟

-هل كان للأئمة دور في دفع عجلة التعليم أم أنهم انصرفوا للهو والترف؟

-ما مدى إسهام المرأة الرستمية في الحياة العلمية؟

-ما هي المراحل التي يمر بها طالب العلم وكيف يتم إلقاء الدروس وما أهم المواد المدرسة؟

-وهل كان لكل مرحلة تعليمية طريقة خاصة بها؟، هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها من خلال معالجتنا لهذا الموضوع.

منهج الدراسة :

وقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي بأسلوب وصفي سردي تحليلي وهو الأكثر ملائمة لدراسة البحوث التاريخية ، فاستخدمنا الأسلوب الأول في وصف جغرافية المغرب الأوسط وكذا وصف مدينة تيهرت وطرق التدريس، أما السرد فكان في سرد الأحداث التاريخية وفقا لتسلسلها الزمني ، أما عن التحليل فكان في تحليل الوثائق التاريخية الدراسات السابقة :

لطالما جلب موضوع التعليم ومؤسساته في العهد الرستمي اهتمام الباحثين لذلك نجد العديد من الدراسات تتطرق له ، غير أنها تختلف من حيث عرضها أو في عناوينها ومن بينها نذكر:- عليي محمد : الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث الهجريين / السابع والتاسع الميلاديين ، أطروحة دكتوراه في تاريخ الغرب الإسلامي ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، 2015-2016 م

-مطهري فطيمة : مدينة تيهرت الرستمية - دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3هـ/8-9م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2009-2010 م.

ولإعداد البحث استعنا بجملة من المصادر والمراجع فمن أهم المصادر كتاب "أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير" وهو مصدر مهم لأحد معاصري الدولة الرستمية ، وقد اعتمد صاحبه على الروايات الشفوية ومشاهداته الشخصية ، حيث تناول سير أئمة الدولة الرستمية

واعتبره المؤرخون من اكثر المصادر موضوعية إذ أن صاحبه كان لا ينتمي إلى المذهب الإباضي، ويعتبر كتابه أقدم مصدر مغربي يتعلق بالرستميين ، وقد أفادنا في التعرف على جوانب من الحياة الفكرية في تيهرت وذكر العديد من أسماء الفقهاء والخطباء والكلاميين ، غير أن ما يعاب عنه أنه كان خاليا من التواريخ ، " وكتاب سير الأئمة و أخبارهم " لأبي زكرياء (ت سنة 471 هـ / 1078 م) ويعتبر مؤلفه عملا تاريخيا وسيريا في الوقت نفسه وهو من أقدم المستندات الخاصة بتاريخ الاباضيين في الغرب وقد زدنا بمعلومات مهمة عن تاريخ الرستميين وسقوط دولتهم وسير عدد من الأعلام الاباضية ، وكتاب " سير المشايخ " للشماخي (ت سنة 928 هـ / 1522 م) يعتبر كتابه مصدرا ثريا بالمعلومات عن فقهاء وعلماء الدولة الرستمية ، واعتمدنا أيضا على "كتاب طبقات المشايخ للدرجيني(670هـ/1272م) وهو فقيه وشاعر ومؤرخ إباضي يتألف كتابه من جزئين والجزء الثاني الأكثر أهمية بالنسبة لموضوعنا كونه يشتمل على مجموعة من سير علماء إباضيين مشهورين قسمهم إلى اثني عشر طبقة تغطي كل طبقة حقبة زمنية محددة، كما اعتمدنا على كتاب "الأزهار الرياضية" للباروني وكتاب "معالم الايمان في معرفة أهل القيروان" للدباغ، بالإضافة إلى جملة من المصادر الجغرافية منها "معجم البلدان" لياقوت الحموي ، وكتاب "البلدان" لليعقوبي وكتاب "المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب" للبكري وغيرها من المصادر K أما عن المراجع فقد اعتمدنا على كتاب "الدولة الرستمية" لإبراهيم بحاز والذي رصد فيه تاريخ الدولة الرستمية والجوانب الاقتصادية والفكرية، وكذا العوامل التي ساعدت على ازدهار الحياة الفكرية وأهم العلوم وكذا العلاقات الخارجية للدولة ، واعتمدنا على كتاب "العلاقات الخارجية للدولة الرستمية" لجودت عبد الكريم حيث استعرض في هذا الكتاب علاقات الدولة الرستمية بالدول المجاورة ومكانتها في المغرب الاسلامي، ودورها في تنشيط الحركة الفكرية بالمغرب الأوسط، واعتمدنا أيضا على كتاب "الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي" لمحمود إسماعيل عبد الرزاق والذي تناول فيه الجانب السياسي للدولة الرستمية وغيرهم من المراجع بالإضافة إلى بعض المقالات منها:

-حياوي فراس سليم ، حميد محمد عيسى ، الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية (160 هـ - 296 هـ / 776 م - 907 م) ، مجلة كلية التربية الأساسية - جامعة بابل ، ع 10 /

كانون الثاني 2013 م .

-لوفتسكي ، ثاديوس : " دولة تاهرت بشمال إفريقيا " مجلة عصور الجديدة ، ع /19-20/أكتوبر 2015م ، ص 135-155

هيكل الدراسة: وللإجابة على الإشكالية ودراسة هذا الموضوع ، وحتى لا يكون العمل عشوائيا انتهجنا خطة عمل قسمنا فيها موضوعنا الى أربع فصول وخاتمة،**الفصل التمهيدي** : قسمناه إلى ثلاث مباحث كان **الأول** تحت عنوان جغرافية المغرب الاوسط وحدوده أما **المبحث الثاني**: فكان حول نشأة المذهب الإباضي وانتقال أفكاره إلى بلاد المغرب، و**الثالث**: تناولنا فيه تأسيس الدولة الإباضية الرستمية وحكامها ،أما **الفصل الأول** فقد عنوانه ب:العوامل المساعدة على ازدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط(ق2-3هـ/8م-9م) وجاء فيه ثلاث مباحث،**تمحور المبحث الأول**: حول العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية بينما كان **المبحث الثاني** :بعنوان مكانة العلم والتعليم لدى الأئمة الرستميين وعنايتهم به،وتطرقنا في **المبحث الثالث** إلى العلاقات الثقافية والرحلات العلمية والتجارية،أما **الفصل الثاني**:فكان بعنوان المؤسسات التعليمية وأصناف العلوم،وقد قسم هو الآخر بدوره إلى ثلاث مباحث تكلمنا في **المبحث الأول**:عن المؤسسات التعليمية في الدولة الرستمية وفي **المبحث الثاني**:تطرقنا لأصناف العلوم وأهم العلماء،وكان **المبحث الثالث** :تحت عنوان مكانة المرأة الرستمية العلمية ودورها،ثم انتقلنا إلى **الفصل الثالث** :والذي كان بعنوان مراحل التعليم وطرق إلقاء الدرس جاء فيه ثلاث مباحث،كان **المبحث الأول**:بعنوان مراحل التعليم في العهد الرستمي ،أما **المبحث الثاني**:فتناولنا فيه طرق إلقاء الدرس وتطرقنا في **الثالث** :إلى نظام التعليم الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية.

***الصعوبات:** وقد واجهتنا جملة من الصعوبات نذكر منها: -الوضع الصحي المستجد والذي أدى إلى صعوبة التنسيق والاتصال الميداني مع المشرف وكذا مشاكل جمع المادة العلمية و الانتقال الى المكتبات والتزود ببعض المصادر والمراجع ، وأيضا قلة المصادر والمراجع المتخصصة في موضوع الدراسة.

وأنهينا بحثنا بخاتمة أجبنا من خلالها على مختلف التساؤلات المطروحة ، لنصل في النهاية إلى أهم النتائج المستخلصة ، وفي الأخير نأمل أن نكون قد أفدنا واستفدنا ولو بالقدر اليسير كما نتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير لكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل ونخص بالذكر الأستاذ المشرف د.مرزقلال ابراهيم

الفصل التمهيدي

الاطار العام للدراسة

- 1- جغرافية المغرب الأوسط وحدوده (ق3هـ/9م)
- 2- نشأة المذهب الإباضي وانتقال أفكاره إلى بلاد المغرب
- 2-1 نشأة المذهب الإباضي
- 2-2 إنتقال الإباضية إلى بلاد المغرب
- 3- تأسيس الدولة الإباضية الرستمية
- 3-1 بناء مدينة تيهرت
- 3-2 حكام وأئمة الدولة الرستمية

1- جغرافية المغرب الأوسط وحدوده (ق 3 هـ / 9 م)

يشمل المغرب الأوسط منطقة جغرافية اختلف المؤرخون والرحالة في ضبط حدودها خاصة الشرقية منها فقد كان نهر الملوية يمثل الحد الطبيعي الغربي الذي يفصلها عن بلاد المغرب الأقصى، في حين يشير ابن خلدون الى حدودها الشرقية فيذكر تارة أنها تبدأ من بونة باتجاه الجنوب الى الأربس¹ فالأوراس فتبسة ويذكر تارة اخرى أن نهر الشلف هو الحد الشرقي لبلاد المغرب الأوسط. بينما يرى آخرون أن الحد الشرقي عبارة عن خط وهمي يبدأ من بجاية باتجاه الجنوب، فالحدود في تلك العهود هي حدود وهمية يحدد معالمها نفوذ الدولة². وقد حدد صاحب كتاب **الدر الوقاد** حدوده خلال القرن 3 هـ/ 9 م بأنه كان يشمل معظم البلاد الجزائرية الحالية باستثناء : قسنطينة و طبنة³ وبسكرة ، ويضاف إلى ذلك الناحية الشرقية من البلاد المراكشية أي مقاطعة وجدة الحالية ، وقاعدته تيهرت ومن أشهر مدنها : تلمسان ، وهران ، تنس ، قيرة ، سلمة وسلمية وهذه المدن الثلاث الأخيرة قد عفى رسمها ولم يبق إلا اسمها ولا يعرف الآن موقعها⁴.

أما عن طبيعة المغرب الأوسط فيتمتع بوجود تضاريس متنوعة ومنها امتداد سلسلتان جبليتان في شماله هما: أطلس التل و أطلس الصحراء ، أما عن مصادر المياه فإن هذه المنطقة لم تحظى بعدد كبير من الأنهار ، وعلى الرغم من قلتها كان لها أثر ايجابي في

¹ - الأربس: بالضم ثم السكون والباء الموحدة مضمومة وسين مهملة: مدينة وكورة بإفريقية، وكورتها واسعة وأكثر غلتها الزعفران وبها معدن حديد وبينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب . أنظر: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان، ج1، تحق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 165.

² - جودت عبد الكريم : الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10 م) ، مكتبة طريق العلم ، الجزائر ، 1992م ، ص 05 .

³ - طبنة: مدينة كبيرة افتتحها موسى بن نصير وبها قصر وارباض وداخل القصر جامع وفيها نهر، يقال أن الذي بناها هو أبو جعفر عمر ابن حفص المهلبى . انظر : أبي عبد الله البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، مكتبة المثنى ، بغداد، 1857م ، ص 48 .

⁴ - محمد بن رمضان شاوش : الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي ، ط 1 ، المطبعة العلوية للنشر ، مستغانم ، 1966 م ، ص 9-10.

ازدهار العمران في المغرب الأوسط عامة والدولة الرستمية بصفة خاصة فقد أسس عبد الرحمن بن رستم دولته على ضفاف نهر مينة¹.

2 - نشأة المذهب الإباضي وانتقال أفكاره الى بلاد المغرب

قبل التكلم عن انتقال الإباضية الى بلاد المغرب وتأسيسهم لدولة مستقلة بعد نشر أفكارهم المذهبية ، لابد لنا من معرفة هذا المذهب وكيف نشأ ؟ وإلى من ينسب ؟ وما هي أهم فرقه و آرائه و مبادئه ؟

1-2 نشأة المذهب الإباضي :

ينسب صاحب كتاب الملل والنحل الإباضية إلى عبد الله بن إباح² حيث يقول : "... الإباضية أصحاب عبد الله بن إباح الذي خرج في أيام مروان³ بن محمد ..."⁴، ويجعلها البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق من بين فرق الخوارج⁵ حيث يقول "...وأما الخوارج فإنها لما اختلفت صارت عشرين فرقة وهذه أسماؤهم : المحكمة الأولى⁶ ، الأزارقة ، ثم النجدات، ثم الصفرية⁷ ، ثم العجاردة " ثم يذكر أن الإباضية قد افرقت إلى فرق

¹ - نهر مينة يأتي من الجهة القبالية لمدينة تيهرت . أنظر : فطيمة مطهري : مدينة تيهرت الرستمية - دراسة تاريخية حضارية (القرن 2-3 هـ / 8-9 م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي ، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2009م-2010م ، ص 40 .

² - عبد الله بن إباح : ينتمي إلى قبيلة تميم القاطنة في البصرة بشكل خاص ، فهو عبد الله بن إباح من بني مرة بن عبيد وذكر أنه عاش في عهد معاوية بن أبي سفيان وحتى عهد عبد الملك بن مروان بن الحكم . أنظر : محمد علي الصلابي: الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج ، ط 1، منشورات علي الصلابي، 201 م-2019 م ، ص 22 .

³ - هو أبو عبد الملك بن محمد بن مروان بن الحكم ..ولد بالجزيرة وأبوه متوليها سنة اثنتين وسبعين ،كان قتله ببوصير ، من أعمال مصر، ثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة. انظر:جلال الدين بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ط1، دار الغد الجديد للطب،تح محمد أحمد عيسى،دارالغد الجديد للطباعة والنشر،القاهرة،2013،ص245.أنظر أيضا: ابن الأثير:الكامل في التاريخ، ج 5، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2012م ، ص 18 .

⁴ - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل ، مج 1 ، المطبعة بولاق ، مصر ، 1563م ، ص 76 .

⁵ - كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان هذا الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان.أنظر:الشهرستاني:المصدر نفسه ، ص 144 .

⁶ - المحكمة الأولى : يقال للخوارج محكمة ، وشراة واختلفوا في أول من تشرى منهم . انظر : عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي : الفرق بين الفرق ، تح محي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح و أولاده ، ص 74 .

⁷ - الأزارقة : أصحاب نافع بن الأزرق،النجادات:أتباع نجدة بن عامر الحنفي،الصفرية:أصحاب زياد بن الأصفر.أنظر:حسن ابراهيم حسن:تاريخ الاسلام السياسي الديني والثقافي،دار الجيل بيروت و مكتبة النهضة المصرية،1996،ص318-320 .

فيقول "...وافترقت الإباضية منها فرقا : حفصية ،وحارثية ويزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها ¹....." ².

كما يجعلها صاحب كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ضمن فرق الخوارج فيقول بأنهم أتباع عبد الله بن إباض وهم أكثر الخوارج اعتدالا، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو، ولذلك بقوا ولهم فقه جيد، وفيهم علماء ممتازون ³، أما الدكتور محمد علي الصلابي فينفي انتماءهم للخوارج، حيث يقول بأنه توصل من خلال دراسته ومطالعة عن المذهب الإباضي إلى قناعة راسخة مبنية على قيمة العلم والإنصاف، بأن المذهب الإباضي مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج ألصقت بهم إدعاءات باطلة كما يرجع نشأة المذهب على أنه كان في البصرة وعلى يد جابر بن زيد ⁴ قبل عبد الله بن إباض .

وقد جاءت نسبة الإباضية لابن إباض ،ولم ينسبوا إلى جابر بن زيد الذي ركز نشاطه على مجال التربية والتكوين ،بينما جهر عبد الله بن إباض بمواقف سياسية ،واجه بها خلفاء بني أمية ولاسيما عبد الملك بن مروان ⁵، فكان بن إباض الواجهة العلنية للجماعة ، وكان يجادل عنهم ويحاجج الأمويين فنسبوا إليه، غير أنهم لم يرضوا بهذا الاسم أول الأمر وكانوا يختارون لأنفسهم تسميات منها: أهل الدعوة، أهل الاستقامة أو جماعة المسلمين وأول ذكر للإباضية في مصادرهم كانت أواخر القرن 3 هـ ⁶.

¹ - العجاردة: أصحاب عبد الكريم بن عجرد، وكان عبد الكريم من أتباع عطية بن أسود الحنفي، وكانت العجاردة مختلفة عشر فرق، الحفصية: قالوا بإمامة حفص بن أبي المقدام، زعم بأن بين الشرك والإيمان معرفة الله تعالى وحدها، الحارثية : هم أتباع حارث بن يزيد الإباضي الذين قالوا في القدر بمثل قول المعتزلة، أصحاب طاعة لا يراد الله بها: زعم أصحابها أنه يصح وجود طاعات كثيرة ممن لا يريد الله تعالى بها. أنظر: محمد البغدادي : المصدر السابق ، ص 93-105 .

² - محمد البغدادي : المصدر نفسه ، ص 24 .

³ - محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 83 .

⁴ - هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي اليماني مولدا البصري إقامة، توفي بالبصرة عام 23 هـ وقيل 103 هـ "أصل المذهب وأسس عليه نظامه...صاحب ابن عباس رضي الله عنه". أنظر: علي محمد الصلابي: المرجع السابق ص 27. أنظر أيضا: أحمد بن سعيد الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ج 2، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، ص 205 .

⁵ - عبد الملك بن مروان : هو ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب أبو الوليد ، ولد سنة ست وعشرين، ببيع بعهد من أبيه في خلافة بن الزبير، فلم تصح خلافته ... إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، فصحت خلافته من يومئذ . انظر: السيوطي ، المصدر السابق ، ص 210.

⁶ - محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص 19-20.

ومن أهم أرائهم ومبادئهم: نذكر:- أن مخالفيهم من المسلمين ليسوا بمشركين ولا مؤمنين ويسمونهم كفارا ،ويقولون بأنهم كفار نعمة لا كفار اعتقاد(لم يكفروا بالله).

-دعاء مخالفيهم حرموها في السر واستحلوها في العلانية وأجازوا شهادتهم¹، وفي هذا الصدد يقول الشهرستاني في كتابه **الملل والنحل** "...قال أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ومنا كحتهم جائزة وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال"²، فأما الذهب والفضة فإنهم يردونها على أصحابها عند الغنيمة³، كما قالوا أن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى . وقالوا في مرتكبي الكبائر أنهم موحدون لأمؤمنون⁴.

كان هذا عن نشأة الإباضية في المشرق وأهم فرقها وأرائها ومبادئها ،والسؤال المطروح هو كيف تسربت هذه الافكار إلى بلاد المغرب ؟وكيف أثمرت عن تأسيس دولة إباضية بالمغرب الأوسط ؟.

2-2 انتقال الإباضية إلى بلاد المغرب:

لما اشتد بطش الأمويين وضرباتهم ، فر كثير من الخوارج من المشرق باتجاه المغرب وخاصة المغرب الاوسط ،حيث وجدوا فيه التربة الخصبة لنشر مبادئهم ،والثورة على الظلم ،وكان من بين فرق الخوارج التي انتقلت فرقة الإباضية⁵، فقد بعث أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة⁶ في بداية القرن 2هـ سلمة بن سعيد⁷ لنشر الدعوة الإباضية بين المغاربة وفي هذا الصدد يقول الدرجيني "...أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان إفريقية ،سلامة

¹ - محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص 84.

² - الشهرستاني : المصدر السابق ، ص 76.

³ - محمد البغدادي : المصدر السابق ، ص 103.

⁴ - الشهرستاني : المصدر السابق ، ص 76.

⁵ - محمد عيسى الحريري : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية ، ط 3 ، دار القلم للنشر و التوزيع ، الكويت ، 1987، ص 55.

⁶ - أحد تلامذة الإمام جابر بن زيد ، خلفه على رأس إمامة المذهب الإباضي بعد وفاته ، قيل ظل يتلقى العلم أربعين عاما وبعدها قام بتعليمه فعرف بتبحره وتعمقه في العلوم على اختلافها . أنظر : محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط 2 ، دار الثقافة ، المغرب ، 1985 ، ص 53 .

⁷ - سلمة بن سعيد : أول من دعى الى المذهب بالمغرب وتمنى ظهوره يوما واحدا ويموت في آخره ، دل حملة العلم وبعضهم على موضع أبي عبيدة بالبصرة . أنظر : أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي : كتاب السير ، ج 1 ، ط 2 ، تحقيق أحمد بن سعود السيابي ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1992 م ، ص 90-91 .

بن سعيد، قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن العباس¹ متعقبين على بعير فسلامة يدعو إلى مذهب الإباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية...².

وقد استقر سلمة في جبل نفوسة حيث تسكن قبائل هواره³ البربرية⁴، وتجمع المصادر على حماسته في نشر المذهب فيقول عنه الدرجيني أنه قال "وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوماً واحداً من أول النهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعدها"⁵، ويلاحظ أنه بالإضافة إلى هدفه الرئيسي وهو الدعوة إلى المذهب سعى كذلك إلى ترغيب عدد من زعماء البربر للذهاب إلى المشرق واستطاع كسب عدد من الاتباع خاصة من جبل نفوسة في منطقة طرابلس ثم انتشر في العديد من قبائلها كهواره وزناتة وسدراته⁶ وغيرها من القبائل.

ولقد رأى دعاة الإباضية الحاجة إلى مزيد من البعثات العلمية إلى المشرق ليتفقهوا في أصول المذهب، وبناء على ذلك اتجهت إلى البصرة أول بعثة علمية منظمة اختير رجالها من قبائل ومناطق مختلفة⁷.

وتألفت البعثة من أربعة أشخاص وهم كما ذكرهم الشماخي في قوله "... وهم عاصم السدراتي ، اسماعيل بن درار الغدامسي ، وأبو داود القبلي النفزاوي⁸ ، وعبد الرحمن بن رستم الفارسي⁹ فرحلوا أربعتهم إلى البصرة وانضم اليهم هناك أبا الخطاب عبد الأعلى بن

¹- عكرمة: أصله من البربر من أهل المغرب ، كان لحصين بن حر العنبري ، فوهبه لابن عباس رضي الله عنهما ، حين ولي البصرة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه واجتهد بن عباس في تعليمه القرآن والسنن وسماه بأسماء العرب. انظر: محمد بن بكر بن خلكان: وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، مج3 ، دار صادر ، بيروت ، 1970م ، ص 265.

²- الدرجيني : الطبقات ، ج1، ص 11.

³- هواره : من أشهر قبائل طرابلس وهي بطن من البرانس تنسب إلى هوارين أوريغ بن برنس . أنظر : الطاهر أحمد

الزاوي : الفتح العربي في ليبيا ، ط4 ، دار المدار الإسلامي ، لبنان ، 2004م ، ص 26 .

⁴- الطاهر أحمد الزاوي : المرجع نفسه ، ص 59 .

⁵- الدرجيني . الطبقات ، ج1 ، ص 12.

⁶- سدراتة : بالقرب من ورقلة (وارجلان) . أنظر : محمد رمضان شاوش : المرجع سابق ، ص 35-36 .

⁷- محمود اسماعيل عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص 85.

⁸- عاصم السدراتي : أحد نفر الخمسة من حملة العلم كان من أشد الناس شوكة على أهل القيروان قتل مسموماً بها ،

بن درار الغدامسي : وهو أحد الشيوخ المشهورين بالعلم والتعليم والعمل والورع أخذ عنه جماعة ، أبو داود النفزاوي :

أبو داود القبلي من بلاد نفزاوة وكان شيخاً مشهوراً وعالماً ممن أخذ العلم عن أبي عبيدة وأحد الخمسة. أنظر: الشماخي :

المصدر السابق ، ص 117، 127، 129.

⁹- الشماخي : المصدر نفسه ، ص 113 .

السمح المعافري الحميري اليمني فأصبحوا خمسة ، وهم من سمو بحملة العلم ، ومكتثوا عند أبي عبيدة خمسة أعوام ثم رجعوا الى بلاد المغرب في زمن غير معين ، ويظهر أنه فيما بين 125هـ أو 140 هـ¹، وقد عزموا على إعلان بداية الدعوة جهرا والتمهيد لتأسيس دولة لهم هناك .

وصل حملة العلم إلى إقليم طرابلس سنة 140 هـ/757م وفور وصولهم بادروا بالاتصال بالقبائل المحيطة بطرابلس من أجل التمهيد للقيام بثورة ، وذكر أن أبي الخطاب هو من أشار به أبو عبيدة لتقليده الزعامة² وفي هذا الصدد يقول الشماخي " ... ثم استشاروا أبي عبيدة (يقصد حملة العلم) في شأنهم إن آنسوا من أنفسهم قوة أيؤمرون عليهم واحدا منهم قال نعم وأشار إلى أبي الخطاب فإن أبي فاقتلوه " ³ استطاع أبو الخطاب مداومة طرابلس والاستيلاء عليها وبعثوا إلى أبو عبيدة يعلمونه بظهور الإمامة فجنح أبو الخطاب إلى التوسع فاستولى على جزيرة جربة وجبل دمر⁴ سنة 140 هـ كما ضم قابس بنفس العام ودانت بلاد المغرب الأدنى بطاعته ، ثم تطلع إلى إفريقية⁵ ، هذه الأخيرة التي شهدت أحداثا كثيرة منها مقتل الوالي عبد الرحمان بن حبيب⁶ سنة 137 هـ وفرار ابنه حبيب إلى تونس وقد استعان هذا الأخير بجماعات من البربر لاستعادة ملك أبيه وفي هذا الصدد يقول الرقيق القيرواني " ... واستعان بجماعات من البربر لاستعادة ملك أبيه في إفريقية ، ونجح في قتل عمه إلياس إلا أن حكمه لم يدم واستولى عمه عبد الوارث على القيروان ، ففر حبيب إلى قبيلة ورفجومة ... وكان يرأسها عاصم بن جميل وكان من

¹ - الطاهر أحمد الزاوي : المرجع السابق ، ص 128.

² - محمود إسماعيل عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص 85-86.

³ - الشماخي : المصدر السابق ، ص 114.

⁴ - جبل دمر : سلسلة جبيلية طويلة تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مدينة الخمس شرقا - وهي مدينة ليبية - تسمى في المغرب الأقصى جبال درن وفي المغرب الأوسط جبال الأوراس وفي تونس جبال دمر. أنظر: محمد حسين كوردي: الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي، منشورات مؤسسة تاوالت، طرابلس، 2008م، ص 19.

⁵ - إسماعيل عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص 86 .

⁶ - انحاز إلى الأندلس ... في المحرم سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد قتل البربر كلثوم بن عياض ... وحبيب بن أبي عبيدة والد عبد الرحمان ... بقي بها إلى سنة خمس وعشرين، خرج مستترا إلى تونس. أنظر: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضامي المعروف بابن الأبار: الحلة السيرة، ج2، ط2، حققه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ، 1985م ، ص 340.

الخارج الصفريّة " ¹، وقد استولت ورفجومة على القيروان واستباحتها سنة 138هـ / 755م وحاول حبيب بن عبد الرحمن استردادها سنة 140هـ ففتكت به ورفجومة واستحلت المحارم في القيروان ²، وفي هذا يقول الرقيق القيرواني: "واقتم مع رجال قبيلته القيروان وأقام فيها حكما خارجيا صفريا واضطهدوا أهل السنة حتى قيل أنهم دخلوا بخيلهم إلى المسجد الجامع بالقيروان" ³، فغضب لأهلها أبا الخطاب إمام الإباضية، فهاجم ورفجومة وخلص منها القيروان سنة 141هـ / 758م ⁴، وقتل عاصم بن جميل، وبذلك انتهى حكم بني عبد الرحمن بن حبيب في إفريقية ⁵، وولى أبو الخطاب عليها عبد الرحمن بن رستم كل هذه الأحداث أفرغت الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، يقول اليعقوبي "فولى أبو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعي" ⁶ فقدم طرابلس وزحف إليه أبو الخطاب من القيروان فحاربه ⁷، ويقول البلاذري أنه دخلها واليا آخر خلافة ابن العباس فوليا أربع سنين ⁸

يقول البكري: "...وبمغدامس ⁹التقى أبو الأحوص عمرو التجلى مع أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح القاييم بدعوة الإباضية فاقتتلوا على البحر فأنهزم أبو الأحوص" ¹⁰ وعاد أدراجه إلى مصر واحتوى أبو الخطاب على معسكره وانصرف إلى طرابلس وكان ذلك سنة 142هـ على حد قول البكري، ثم عاد بن الأشعث ثانية والتقى مع أبي الخطاب بتورغا ¹¹ بعد أن أوهمه بأنه تراجع إلى مصر فترقت عنه القبائل وانصرفت لزروعها يقول الشماخي

¹ - الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ط1، تح وتو محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، 1994م ص8.

² - شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات (الجزائر-المغرب الأقصى-موريتانيا-السودان) ، ط1، دار المعارف ، القاهرة، 1995م، ص28.

³ - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص8.

⁴ - شوقي ضيف: المرجع السابق، ص28.

⁵ - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص8-9.

⁶ - كان واليا على مصر على عهد المنصور أرسله لغزو إفريقية. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص143.

⁷ - أحمد بن أبي يعقوب جعفر المعروف باليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، مطبعة بريل ، 1883 ، ص464.

⁸ - أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، 1988م ، ص325.

⁹ - مغدامس : وهي مدينة على مسيرة ثمانية أيام من مدينة طرابلس . أنظر: أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر : سير الأئمة وأخبارهم ، ط2 ، تحقيق إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982م ، ص77.

¹⁰ - البكري : المصدر السابق ، ص7.

¹¹ - تورغا: هي عين في نفاوة وهي عين كبيرة . أنظر : البكري ، المصدر نفسه، ص45.

فلقى بن الأشعث بتورغا وكان معه نفوسة وهوارة وطريشة... وقد سبقه ابن الأشعث إلى الماء... وكان بينهم قتال شديد.. فأبى أبو الخطاب وأصحابه من الانهزام حتى استشهدوا¹. وقد تولى الزعامة بعد أبي الخطاب يعقوب بن حاتم المعروف بأبي حاتم الملزوزي² وولي المنصور عمر بن حفص³، بعد عزله لابن الأشعث، يقول البلاذري "ولى عمر بن حفص بن قبيصة... فدخل إفريقية وغزا منها حتى أقصى بلاد البربر وابتنى هناك مدينة سماها العباسية"⁴ قاتله أبا حاتم فأستشهد بن حفص وولي بعده يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب⁵، يقول الرقيق القيرواني "...وكان سبب قدومه إفريقية أنه اتصل بأبي جعفر المنصور: أن عمر بن حفص قتل... رأى أن يوجه يزيد لعلمه بقيامه وحزمه ونكايته، ولأن عمر بن حفص عمه، فهو لا يألوا في طلب ثأره"⁶ وقد توجه يزيد بجيش للقاء أبي حاتم يقول البلاذري "...فسار يزيد حتى لقي أبا حاتم بأطرابلس، فقتله ودخل إفريقية فاستقامت له"⁷، وكان ذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين ومائة...⁸.

3- تأسيس الدولة الإباضية الرستمية:

لما التقى أبو الخطاب بابن الأشعث، كان عبد الرحمن بن رستم آنذاك قادما من القيروان لنجدته، وقبل وصوله ورده خبر انهزام أبي الخطاب وأصحابه ووفاته، وكان قد وصل قابس يقول الباروني "ولما وصل قابس أدركه خبر وفاة الإمام، فتفرق عليه الجيش

¹ - الشماخي: المصدر السابق، ص 119-120.

² - يختلف المؤرخون في أصله، فيذكر البعض انه من هوارة، وقيل من سدراته وقيل من مغيلة والمرجح أنه من هوارة بويج بالإمامة بعد وفاة أبي الخطاب سنة 145 هـ. أنظر: محمود اسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص 89.

³ - وهو الذي يسمى هزارد. أنظر: البلاذري: المصدر السابق، ص 326.

⁴ - البلاذري: المصدر السابق، ص 326.

⁵ - يزيد بن حاتم: وصل إفريقية سنة أربع وخمسين ومائة أحسن يزيد السيرة وأمن الناس وبقي حتى مات في رمضان سنة سبعين ومائة وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر. أنظر: ابن الأبار: الحلة السيرة، ج 5، ص 72-73. أنظر ايضا: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ط 1، مروتص محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 205.

⁶ - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 91-92.

⁷ - البلاذري: المصدر السابق، ص 326.

⁸ - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 92.

وقامت (قابس) على عاملها فعاد إلى القيروان فوجدها قد قامت على وكيله أيضا....¹، ثم يضيف ابن عذارى "...ولما دخل ابن الأشعث القيروان ، فر عبد الرحمن إلى المغرب بما خف من أهله وماله .."² ، حتى وصلوا إلى جبل سوفجج³ فتحصن فيه ، ولما سمع به وجوه الإباضية وعلمائهم ، فأتوه من كل النواحي من طرابلس وجبل نفوسة ، وعندما سمع بن الأشعث بخبر هذا الاجتماع خشي تعاضم قوة الإباضية فجهز جيشا وحاصر الجبل مدة من الزمن ، إلا أنه لم يتمكن من دخوله فعاد أدراجه بعد أن فقد من جيشه الكثير بسبب انتشار داء الحمى والجذري بينهم ، ولما عظم شأن الإباضية وكثر عددهم التفوا حول عبد الرحمن بن رستم وفي هذا الصدد يقول الباروني "....التفوا حوله واستظلوا بحمايته ووقفوا عند أوامره ونواهيته دون أن يدعي فيهم خلافة أو يطلب بيعة أو ملكا⁴."

وبعد مشاورات بين علماء وشيوخ الإباضية من أجل عقد الإمامة ، أجمعوا على شخص عبد الرحمن بن رستم يقول ابن الصغير "...هذا عبد الرحمن بن رستم لاقبيلة له يشرف لها ولا عشيرة له تحميه وقد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمان .. فقلدوه أموركم فإن عدل فذلك الذي أردتم وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه، ولم تكن له قبيلة تمنعة ولا عشيرة تدفع عنه"⁵، وهذا يعود إلى أن أصل عبد الرحمن يعود إلى الفرس⁶ ، وهذا متفق عليه من قبل المصادر ومنها الدرجيني الذي يقول في كتابه الطبقات " عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى الملك الفارسي كان مولده بالعراق وكان أبوه

¹ عبد الله الباروني النفوسي: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، مطبعة الأزهار البارونية ، تونس ، ص2.

² أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، ج1 ، ط1 ، تح بشار عواد ومحمود بشار عواد ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2013م ، ص 207.

³ -سوفجج : أو وادي أجج لا يوجد له ذكر في كتب الجغرافيا يقول الباروني " ولم نقف على ما نستدل به على تعيين هذا الجبل واي الجبال هو لتبديل الأسماء بتبديل اللغات مع طول الزمن". أنظر: الباروني: المصدر السابق، ص3-4.

⁴ -الباروني : المصدر السابق ، ص 3-5.

⁵ -ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ، ج2، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، مارس 1985م ، ص25-26

⁶ -أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص62.

منجما..¹، فيعود بأصله إلى أسرة ملكية، وكذلك ابن عذارى يرجع أصله إلى الفرس فيقول "عبد الرحمن بن رستم بن بهرام وكان مولى لعثمان بن عفان رضي الله عنه"²

3-1 بناء مدينة تيهرت :

بعد اجتماع وجوه الإباضية على تولية عبد الرحمن بن رستم ، أشاروا عليه ببناء مدينة تكون لهم حصنا ومأوى ، ويقول الدرجيني أن تولي عبد الرحمن للإمامة كان سنة 160هـ أو 162هـ " عبد الرحمن بن رستم ولى بتاهرت على رأس ستين ومائة ، وذكر بعضهم أنه ولى سنة اثنين وستين ومائة ، والله اعلم أي التاريخين أصح..."³، وقد وكل أمر اختيار موضع جيد لتأسيس المدينة إلى جماعة من ذوي الخبرة لاختيار مكان تتوفر فيه شروط بناء مدينة حصينة مأمونة وقابلة للعمارة ومن هذه الشروط التي يذكرها القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد حيث يقول "... ثم إن الملوك الماضية لما أردوا بناء المدن ، أخذوا آراء الحكماء في ذلك ، فالحكماء اختاروا أفضل ناحية في البلاد ، وأفضل مكان في الناحية وأعلى منزل في المكان من السواحل والجبال ومهب الشمال لأنها تفيد صحة أبدان أهلها وحسن أمزجتها ... واتخذوا للمدن سورا حصينا مانعا ، وللسور أبوابا عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج..."⁴، ووفقا لهذه الشروط اختير موقع مدينة تيهرت بعد اتفاق الخبراء ، يقول الدرجيني " فأرسلوا رجالا من ذوي المعرفة ... ورجعوا وقد وقع اختيارهم على تاهرت"⁵.

وتذكر المصادر قصة حول بنائها فيذكر الباروني أنه نادى مناد لوحوشها وسباعها ، فرأوها تحمل أبناءها في أفواهها ثم قاموا بإحراق المكان ثم تنقيته ، وبدءوا باختيار موضع لبناء الجامع الكبير ، كأول ما يبنى فيها واختطوا البيوت والقصور والأسواق والحمامات وفنادق وأحاطوها بسور محكم⁶ ، وقد أبدعت المصادر والمراجع في وصف هذه المدينة فهذا صاحب كتاب البلدان يقول " تاهرت بفتح الهاء، وسكون الراء ، وتاء فوقها نقطتان : اسم

¹ - الدرجيني : الطبقات ، ج 1 ، ص 19.

² - ابن عذارى : المصدر السابق ، ص 207.

³ - الدرجيني : الطبقات ، ج 1 ، ص 40.

⁴ - زكرياء بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ص 7-8.

⁵ - الدرجيني : الطبقات ، ج 1 ، ص 41.

⁶ - الباروني : المصدر السابق ، ص 6-7.

لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب ، يقال لإحدهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثه، بينها وبين المسيلة ست مراحل...وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار حتى أن الشمس بها قل أن ترى"، ثم يدرج أبياتا لأعرابي دخلها ثم خرج إلى بلاد السودان ، فقال مشيرا إلى الشمس "أما والله لئن عززت في هذا المكان لطالما رأيته ذليلة بتاهرت" وأنشد:

ما خلق الرحمن من طرفه أسهى من الشمس بتاهرت¹

ويذهب القزويني إلى نفس القول ويضيف "... وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق طعما وحسنا "²

أما اليعقوبي فيصفها بقوله " مدينة تاهرت جليلة المقدار عظيمة الأمر تسمى عراق المغرب لها أخلاط من الناس"³، وذلك لتشبيهها بالعراق الصاخب بمختلف الملل والنحل والأجناس ويقال انها بنيت سنة 150هـ 767م⁴، ويذهب لوفيتسكي للقول بتيهرت الجديدة تميزا لها عن القديمة ، هذه المدينة التي أصبحت بسرعة مركزا لكل إباضية المغرب الأوسط⁵، وهذا الإدريسي يصفها بقوله " وبمدينة تاهرت مياه وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها...وبالجملة هي بقعة حسنة"⁶، ويضيف صاحب كتاب الاستبصار " مدينة تاهرت في سفح جبل يسمى قرقل ، وهي على نهر كبير يأتيها من ناحية المغرب يسمى منية ولها نهر آخر...يسمى تاتش ومنه تشرب أرضها وبساتينها"⁷، وهذا البكري يورد قصة بناء تيهرت الجديدة أو السفلى كما يسميها فيقول "...أنهم لما أرادوا بناء تاهرت كانوا يبنون النهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة"⁸،

¹ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج 2 ، ص 7-8.

² - القزويني : المصدر السابق ، ص 169.

³ - أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الشهير باليعقوبي : كتاب البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص 129.

⁴ - أحمد مختار العبادي : المرجع السابق ، ص 62.

⁵ - ثاديبوس لوفيتسكي : دولة تاهرت بشمال إفريقيا ، مجلة عصور الجديدة ، ع/19-20/أكتوبر 2015م ، ص 136.

⁶ - الشريف الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مطبعة بريل ، 1863م ، ص 87.

⁷ - مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، 1985م ، ص 178.

⁸ - البكري : المصدر السابق ، ص 66.

ويضيف الحموي " لها أربعة أبواب ، باب الصفا ، وباب المنازل ، وباب الأندلس ، وباب المطاحن ، وهي على سفح جبل يقال له جزول¹، ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة"²، ولعل أجمل ما وصفت به ما أورده المقدسي بقول " تاهرت هي اسم القصبة أيضا هي بلخ المغرب³...انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضلونها على دمشق وأخطئوا وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا ، هو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيب..."⁴ ، ويقول ابن خردزابة أن بينها وبين إفريقية مسيرة شهر على الإبل⁵.

3-2 حكام وأئمة الدولة الرستمية: لقد تعاقب على حكم هذه الدولة أئمة بني رستم فكان أولهم:

عبد الرحمن بن رستم (160هـ-168هـ): هو من أصل فارسي كما سبق وذكرنا ولد في العراق ، وفي صباه رافق والده لأداء فريضة الحج ، فمات أبوه اثر مرض أصابه في مكة ، وبقي رفقة والدته فصادفت حاجا من القيروان تزوجها ، وعاد بها إلى القيروان ، أين نشأ على الأخلاق الإسلامية الفاضلة ، فحفظ القرآن وتعلم السنة في مساجدها ، وفيها التقى بدعاة الإباضية ، رحل إلى البصرة وتتلذذ على يد أبو عبيدة⁶، يقول ابن عذارى " أولهم : عبد الرحمن بن رستم ، كانت مدة حكمه سبعة أعوام ..وبقي بها إلى أن مات سنة ثمان وستين ومئة"⁷، وفي حكمه يقول ابن الصغير " فسار فيه بسيرة جميلة حميدة أولهم وآخرهم لم ينقموا عليه في أحكامه حكما ولا في سيره سيرة"⁸، أما ثاني الأئمة فكان:

¹- جزول: متصل بالسوس يسميه أهل السوس درن ويسمى بتاهرت جزول ويسمى بالزباب أوراس. أنظر : اليعقوبي ، البلدان ، ص 197-198

²- ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص 9

³- بلخ : على مسيرة عشرة من بخارى ، وهي من البقاع التي يضرب بها المثل في المدنية والعمران بالشرق في صدر الاسلام ، خصوصا في دولة بني العباس المعاصرة للرستميين . أنظر : ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تق وتحرر عبد المنعم العريان و مصطفى القصاص ، ط1 ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، 1987م ، ص 95 . أنظر أيضا : هامش كتاب الازهار الرياضية ، ص8.

⁴- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط3 ، مكتبة مدبولي ، مصر ، 1991م ، ص239.

⁵- ابن خردزابة : المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1881م ، ص88.

⁶- عمار عمورة : موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، القبة ، الجزائر ، 2002م ، ص43.

⁷- ابن عذارى : المصدر السابق ، ص207-208.

⁸- ابن الصغير : المصدر السابق ، ص27.

عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (168هـ-190هـ)¹: يسميه ابن عذارى ب: عبد الوارث فيقول "ثم وليها ابنه عبد الوارث ، فكانت مدته بها أربعين سنة، وتوفي سنة ثمان ومئتين"² يقول فيه ابن الصغير " فكان ملكا ضخما وسلطانا قاهرا ، وعلى يديه افتقرت الاباضية ، وتسمى قوم منهم بالنكار وتسمى قوم منهم بالوهبية³، كما أنه اجتمع له ما لم يجتمع للاباضية قبله وأن ملكه اتسع إلى أن وصل إلى تلمسان غربا وحاصر طرابلس شرقا كما ظهرت في عهده فرقة الواصلية من المعتزلة حاربها وقضى على فتتها⁴ ، وقد اختلف في سنة وفاته ف قيل 188هـ ، أو 190هـ أو 208هـ⁵، وتولى الإمامة بعده

الإمام أفلح بن عبد الوهاب (190هـ) وقد اختلف فيها إلى 240هـ/854م):كانت الامور بجبل نفوسة مضطربة كما يقول الباروني وبعد وفاة والده سارع الاباضية لتتصيب ابنه الأفلح حتى لا تظهر انشقاقات،وكان ذلك سنة 190هـ بايعته كل وجوه الإباضية⁶،عرف عصره بالازدهار والرخاء الاقتصادي والأمن يقول ابن الصغير " وابتنى القصور...وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأنته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق...وأقام خمسين عاما أميرا"⁷، ويقول عنه الزركلي" كان داهية حازما فقيها عمر في إمارته ما لم يعمره أحد ممن كان قبله ، وعرف بقوة الساعد"⁸ قضى على الاضطرابات والخلافات التي كانت في بداية عهده ، وقيل أنه توفي من شدة حزنه على ابنه

¹- حسن علي حسن : موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي (المغرب الاسلامي 122هـ-923هـ) ،دار النشر شركة سفير ، مصر،1996م ،ص35.

²- ابن عذارى : المصدر السابق ، ص208.

³-النكارية:أتباع يزيد بن فندين الذي أنكر إمامة عبد الوهاب أما الوهبية فهم أتباع عبد الوهاب.أنظر:ابن الصغير ،المصدر السابق،ص37.

⁴- شوقي ضيف : المرجع السابق ، ص31.

⁵- الدراجي بوزياني : دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع والترجمة ، الجزائر ، 2007م، ص108

⁶- الباروني : المصدر السابق ، ص166.

⁷-ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 51.

⁸- خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج2، ط15، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 2002م ، ص5.

ابن اليقظان الذي خرج في ركب الحج وحبس ببغداد وتكون وفاته سنة 238هـ¹، وتتفق أغلب المصادر على أن وفاته كانت سنة 240هـ ، وبعده تولى الإمامة

الإمام أبو بكر بن أفلح بن عبد الوهاب (240هـ - 241هـ): لم يكن في المستوى المطلوب لقيادة دولة بحجم الدولة الرستمية ، وقد عقدت له الإمامة لأنهم لم يجدوا غيره من أبناء البيت الرستمي ، فأخوه أبو اليقظان كان أقدر منه ولكنه كان مسجوناً آنذاك ببغداد²، يقول عنه ابن الصغير " فلما ولى أبو بكر لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن قبله من آبائه"³ ، و كانت مدة ولايته قصيرة ، إذ لم يكمل السنتين ، عرفت في عهده الدولة تحولا ملحوظا في مسارها السياسي ، وأصبحت في قمة الثراء⁴، كان ميالا إلى تعاطي الأدب والشعر⁵، وبعد خروج أخيه أبو اليقظان ترك له أمور الدولة، يقول ابن الصغير " وكان أبو بكر يحب الملذات ويميل إلى الشهوات فصرف النظر في المدينة وأحوازها إلى أخيه أبي اليقظان ..."⁶، أما شؤون الدولة فتركها لصهره محمد بن عرفة ، هذا الأخير الذي اغتاله أبوبكر وظهرت بسبب ذلك فتنة عظيمة أخرج على إثرها أبوبكر من تيهرت ، وبويع أخوه بالإمامة وهو خارج المدينة أثناء الفتنة⁷ .

الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح (241هـ - 281هـ): عرف بالورع والتقوى ، تمت مبايعته بالخلافة بعد تنازل أبو بكر عنها ، وقيل بعد موته⁸، ويذهب إلى هذا الطرح الأخير ابن عذارى في قوله "...ثم أعادوه إليها إلى أن مات فيها ، ووليها بعده أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح " ⁹ ، وقيل أنه تولى الخلافة في 241هـ وهذا ما ذهب إليه الباروني

¹ - الباروني: المصدر السابق ، ص221

² - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 62.

³ - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 61.

⁴ - الدراجي بوزياني : المرجع السابق ، ص109.

⁵ - محمد كمال شبانة : الدويلات الإسلامية في المغرب، ط1 ، دار العالم العربي، القاهرة ، مصر، 2008م ، ص113.

⁶ - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 63.

⁷ - الدراجي بوزياني : المرجع السابق ، ص109.

⁸ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص77.

⁹ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ص 208.

في قوله "بعد انتقال أبي اليقظان إلى حصن لواته واستيلاء ابن مسألة¹ على المدينة (تيهت) ، ولما بلغ أهل المدينة انتقال أبي اليقظان ...اتفقوا على تقديمه وأتوه وبأيعوه بالخلافة سنة 241هـ وتوقفت الحرب وألغي ذكر أبي بكر محمد بن مسألة²، تجنب سياسة التفضيل والتعصب لقبيلة على الأخرى ، واستقرت في عهده الأوضاع وهدأت النفوس وظل في الحكم حتى وفاته سنة 281هـ³.

الإمام أبو حاتم يوسف بن محمد (281هـ - 294هـ): كان رجلاً كريم السجايا والأخلاق واسع الاحسان والبر مدرباً على شؤون الحكومة⁴ ، يقول ابن الصغير " فبينما أبو حاتم في القوافل قد خرج عليها إذ وافته خاتم رسل بموت أبيه وعقد الإمارة له⁵، فأقام فيها عاماً ، واختلفت عليه الناس واضطرب أمره ، فخرج إلى حصن لواته ، وقامت بينه وبين أهل تيهت حروب عظيمة ، ووليها بتقديم أهلها يعقوب بن أفلح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رستم ، فأقام والياً أربعة أعوام ، ثم خلعه وقدموا أبا حاتم بن أبي اليقظان ، فأقام ستة أعوام⁶، إلى أن قتل من طرف أحد أبناء أخيه اليقظان بن أبي اليقظان سنة 294هـ.

الإمام اليقظان بن أبي اليقظان (294هـ - 296هـ): تولى الإمامة والدولة غير مستقرة دامت إمامته سنتين في جو مليء بالانقسامات وذلك لسخط شيوخ الدولة عليه بسبب قتل أخيه من جهة وخطر الشيعة الاسماعيلية من جهة أخرى⁷، وعن قتله يقول ابن عذارى " فقتله أبو عبد الله الشيعي ...مع جماعة من أهل بيته ، وذلك في شوال سنة ست وتسعين

¹ - حصن لواته: محاذي لمنطقة لتسلونت أين ينبع نهر مينة ، أبي بكر محمد بن مسألة : من قبيلة هواره ثار ضد أبي بكر بن عبد الوهاب وصل الى الاستيلاء على تيهت وإخراجه منها . أنظر : الدراجي بوزياني : المرجع السابق ، ص 113.

² - الباروني: المصدر السابق ، ص 237.

³ - حسن علي حسن : المرجع السابق ، ص 36.

⁴ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ن ص 81.

⁵ - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 91.

⁶ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ص 208.

⁷ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 81.

ومئتين¹، وانقطع بذلك ملك بني رستم من تيهرت في هذا التاريخ ومن أسباب السقوط أن الدولة الرستمية لم تعتني بالجانب العسكري مما سهل سقوطها بسرعة.²

وخلاصة القول فإن الدولة الرستمية هي دولة خارجية إباضية أسسها عبد الرحمن بن رستم ، وتعتبر أول كيان مستقل بالمغرب الأوسط ، وقد شملت كافة أنحاء البلاد الجزائرية اليوم ، عدا بعض المناطق جنوبا وشرقا كما سبق وأشرنا ، وقد عرفت ازدهارا وتطورا في جميع المجالات ، خاصة الجانب العلمي وقد دام حكمها أكثر من 130 سنة .

¹ - ابن عذارى : المصدر السابق ، ص 208.

² - عمار عمورة : المرجع السابق ، ص 45.

الفصل الأول

العوامل المساعدة على ازدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط خلال

القرنين (2-3هـ)

1-العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية

1-1 العوامل السياسية .

2-1 العوامل الاجتماعية .

3-1 العوامل الاقتصادية.

2-مكانة العلم والتعليم لدى الأئمة الرستميين وعنايتهم به

1-2 سياسة التسامح المذهبي والتعايش السلمي .

2-2 تشجيع وعناية الأئمة الرستميين بالعلم والعلماء .

3-العلاقات الثقافية والرحلات العلمية والتجارية.

1-3 الصلات الثقافية بين تيهرت وغيرها من الدول.

2-3 الرحلات العلمية والتجارية ودورهما.

ساهمت عدة عوامل في ازدهار الحياة العلمية في المغرب الأوسط خلال القرنين 2-3 هـ خاصة في تيهرت الرستمية ، جعلت من هذه الأخيرة حاضرة ومركزا علميا له وزنه في المغرب الإسلامي ، فتوافد إليها طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها ، فما هي يا ترى أهم هذه العوامل ؟

1 العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية

1-1 العوامل السياسية:

لقد كان لنظام الحكم في الدولة الرستمية الأثر الكبير في تنشيط الحركة العلمية بالمغرب الأوسط ، ذلك أنه نظام يقوم في عمومته على الإمامة حيث أن الإمام¹ مجبر على التقيد بالكتاب والسنة والاقتداء بالصالحين من الأمة ، وأن يسير في حكمه بين الناس بالعدل والحق ، وفي حال انحرف عن هذه المبادئ عزل، وهي مبادئ تقوم عليها نظرية الحكم أو الإمامة في الفكر السياسي الإباضي²، أما إذا امتنع الإمام عن هذه المبادئ أوجبوا قتله .

كان نظام الحكم شوريا يتولى قيادة الدولة إمام تختاره الأمة بعد مشورة أهل العلم والدين و وجوه القبيلة كان الإمام الرستمي رئيسا روحيا و زمنيا ، وكان عليه أن يكون خير قدوة لكافة المسلمين ، فيشترط أن يكون له مكانة علمية ، فكل الأئمة الرستميين كانوا علماء بارعين في جل المجالات ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مكانة العلم والعلماء لدى الإباضيين واهتمامهم به ، وقد كانت تيهرت عاصمة سياسية وإدارية ، وقاعدة عسكرية محصنة ، وكان للرستميين جيش اعتمدوا عليه في الدفاع عن حرمة تيهرت ، هذا الأمر أدى إلى الاستقرار والأمن في المدينة التي تعتبر من أهم المراكز العلمية في الدولة³.

¹ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 83.

² - محمود اسماعيل عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص 257.

³ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 84.

1-2 العوامل الاجتماعية:

كثرت سكان تيهرت واختلفت عناصرهم وأجناسهم ، فكان فيها من لماية و زناتة و سدراتة و هواة و لواتة و زواغة و نفوسة ¹ ، وقوم من القيروان والكوفة وفاس وغيرها ، كما اجتمعت فيها مختلف المذاهب والفرق اليهودية والمسيحية وغيرها ² ، وفي هذا الصدد يقول ابن الصغير " وأنتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطاب ... ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم ، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته ... حتى لا ترى دار إلا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي ، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين " ³ .

لقد اتفقت المصادر والمراجع على أن الأئمة الرستميين ، لاسيما الأوائل منهم حكموا رعيتهم بالعدل بينهم و الإحسان إليهم ، و وفروا جوا من التعايش الاجتماعي ، هذه السياسة شجعت أطرافا خارجة عن تيهرت سواء قريبة أو بعيدة على الإقامة بها ، لتساهم في تعمير هذه المدينة ، فقد وجدت كما قلنا فئات اجتماعية مختلفة في مذاهبها ومآربها ⁴ ، وتتضح معالم بنية المجتمع التيهرتي في انقسام السكان إلى أربعة أجناس وهي : البربر: وهم السكان الأصليون لبلاد المغرب ، و الأفارقة : وهم مزيج من بقايا الأمم التي احتلت بلاد المغرب وهم (القرطاجيون ، الرومان ، و الوندال ، والروم البيزنطيون) بالإضافة إلى العرب : وهم الجند الذين وفدوا إلى بلاد المغرب في إطار الفتح الإسلامي

¹ - لواتة: قبيلة كانت زمن الفتح العربي تسكن برقة وهي من أكبر بطون البربر البتر ينسبون إلى لو الأصغر بن لو الأكبر، زواغة: من البربر البتر وهم أوزاع في القبائل ومنهم جماعة بنواحي طرابلس، لماية: من البربر البتر، وكان جمهورهم بالمغرب الأوسط، نفوسة: من البرابر البتر، تنسب إلى نفوس بن زخيك بن مادغيس، وهو مادغيس الأبتد جد البرابر البتر وهي من أكبر قبائل البربر كانت بطونها بجهات طرابلس وما إليها. أنظر: الطاهر أحمد الزاوي: المرجع السابق، ص 143.

² - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 124 .

³ - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 31-32.

⁴ - محمد علي : الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث الهجريين / السابع و التاسع الميلاديين، اطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2015-2016، ص 175.

والمنتقلين إليها بعد إتمام عملية الفتح ، وأخيرا **العجم** : وهم الفرس الذين جاءوا إلى المغرب مع جيوش الخلافة لإخماد ثورات البربر¹.

كل هذا التنوع في البنية الاجتماعية ومع سياسة التسامح والتعايش التي انتهجها الأئمة الرستميين ، قد ساهموا في تنشيط وازدهار الحركة العلمية و التعليمية بالمغرب الأوسط .

1-3 العوامل الاقتصادية :

لقد كان للازدهار الاقتصادي في الدولة الرستمية أثره الكبير في اجتذاب العلماء وازدهار العلم ، فقد عرف المغرب العربي قبلها فترة ركود اقتصادي أثناء ثورات الإباضية والصفرية في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة ، وبعد تأسيس الإباضية والصفرية لدولتيهما هدأت الأوضاع السياسية ، وحل الأمن و الاستقرار فعرف بذلك المغرب نهوضا اقتصاديا سريعا ، وتطورا أثر على كل جوانب الحياة².

عرفت تيهرت الرستمية أوائل القرن 3 هـ مرحلة استقرار وهدوء ، انعكس على ازدهار الزراعة بها³، فمال الناس إلى الاستقرار والطمأنينة وعرفت المدينة نموا سريعا ، خاصة على عهد المؤسس عبد الرحمان بن رستم وعهد الإمام الأفلاح⁴، فهذا بن الصغير يذكر بأن هذه المدينة لما استقبلت المساعدات الأولى من المشرق في عهد عبد الرحمان بن رستم ، كانت قد ساهمت في نهوضها اقتصاديا ونشطت بذلك الزراعة حيث يقول : " فشرع الناس في إحياء الموات وغرس البساتين وإجراء الأنهر واتخاذ الرحاء والمستغلات "⁵، ولم تكن منطقة تيهرت مقتصرة على زراعة البساتين فقط بل و زراعة الحبوب و النخيل أيضا⁶، وهذا ظهر بشكل جلي خاصة في عهد الإمام أفلاح حيث بلغت الدولة في

¹ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 129 .

² - إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الثقافية ، ط2، جمعية التراث ، قسنطينة ، 1993م ، ص 142-143.

³ - جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984م، ص 102.

⁴ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 149.

⁵ - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 12 .

⁶ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 145.

عهده قمة الرخاء يقول ابن الصغير: " كان الأفلاح قد عمر في عمرانها مالم يعمر أحد من قبله ... وعم الرخاء في عصره وكثرت الأموال والمستغلات " ¹ . من العوامل التي ساعدت على توسع النشاط الزراعي خاصة في تيهرت ، هو اتساع رقعتها ومناخها المعتدل وكان لهذا الازدهار أثره البارز في النشاط الحرفي ²، كل هذا شجع على العمران ببناء القرى والمدن والقصور وكذا الرخاء المالي ، وبالتالي جذبت العلماء وطلبة العلم من المشرق والمغرب ، يقول الدكتور بحاز أن القارئ لطبقات الدرجيني أو سير الشماخي ، يلاحظ جليا أثناء ترجمتهما لرجال نفوسة والقرى المجاورة لها ورود كلمة البساتين بكثرة ، حتى ليخيل للقارئ أن أغلب المترجمين لهم كانوا أصحاب ضيعات و أراض ، حيث تزرع أشجار التين والزيتون والفواكه المختلفة والحبوب بأنواعها ³.

وكذلك الحال بالنسبة للنشاط الحرفي ، الذي عرف هو الآخر ازدهارا في تيهرت ، التي كانت مشتركة بين بربرية وفارسية وعربية ورومانية ، فكانت فيها أعداد من الحرفيين والنجارين والحدادين والخياطين والدباغين وغيرها من الصنائع ⁴. كما ازدهرت تربية المواشي التي كانت تقوم جنبا إلى جنب مع الزراعة ، أما التجارة فقد كانت من أهم النشاطات الاقتصادية للدولة الرستمية ، فلا غرابة من تحول الأسواق إلى مدن ، ولا شك أن العنصر الغريب الذي سكن تيهرت من العراق ومصر وإفريقية والمغرب زاد النشاط الداخلي حيوية . ومن الأدلة البارزة على امتهان العلماء للتجارة أننا نجد المؤرخ ابن الصغير نفسه ، كان من التجار يملك دكانا في الرهادنة ⁵ يبيع فيه ويشترى .

¹ - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص 53 .

² - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 155.

³ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 149 .

⁴ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 156.

⁵ - درب في تيهرت كان يسكن فيه من مختلف الأطياف منهم اليهود والنصارى . أنظر: سومية قرواش :إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي (160هـ - 296 هـ / 777م - 909 م) ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط ، جامعة الجليلي اليابس ، سيدي بلعباس ، 2018-2019م ، ص 143.

وقد كانت أبرز البضائع المتبادلة بين المدن وأسواقها ، بضائع الشمال وبضائع الجنوب والعكس صحيح حيث يستبدل البدو بضاعتهم من الغنم والصوف والجلود والشحم والسمن والألبان و التمور ببضائع التل من الحبوب والملح والسكر والزيت والعسل والفواكه...¹، أما التجارة الخارجية فقد كان لموقع تيهرت المتميز ما يجعلها نقطة وصل وملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف الآفاق ، فقد ربطت القيروان بفاس ، وتتصل بسجلماسة في الجنوب ، كما تمكنت من ربط علاقات وطيدة سياسية وتجارية مع الأندلس والاتصال بالمشرق العربي عن طريق القيروان ، وكذلك ببلاد السودان².

لقد كان للرستميين دور في إنعاش التجارة الخارجية ، واهتمام الأئمة بالمسالك ولعل أبرز بضاعة استوردتها الدولة الرستمية من المشرق ، هي الكتب لكثرة قرائها وعلمائها³ ، فهاهي المصادر الإباضية تروي لنا قصة شراء الإمام عبد الوهاب للكتب ، وعكوفه على قراءتها ، حيث يقول أبي زكرياء " بعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق بالبصرة أن يشتروا له بها الكتب فلما وصلهم الألف ، اجتمعوا أن يشتروا بها رقا ويدفعون بأنفسهم الحبر والأقلام وعولة الكتاب ... فنسخوا له أربعين حملا من كتب ، فبعثوا بها إليه"⁴.

ومن خلال كل هذا نستنتج أن من عوامل ازدهار الحياة العلمية ، هو سياسة العدل التي تميز بها الأئمة الرستميين ، وحالة الأمن والاستقرار التي كانت تعيشها تيهرت في هذا العهد ، بالإضافة إلى الازدهار الاقتصادي والرخاء المالي ، وكذا البنية الاجتماعية المتنوعة ، كلها عوامل ساعدت على ازدهار الحياة العلمية في تيهرت حتى أضحت من أشهر حواضر العلم في المغرب الأوسط ، فقصدها طلاب العلم من كل حذب وصوب.

¹ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 176-178.

² - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 171.

³ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 178-201.

⁴ - أبو زكرياء : المصدر السابق ، ص 99-100.

2 مكانة العلم والتعليم لدى الأئمة الرستميين وعنايتهم به

2-1 سياسة التسامح المذهبي والتعايش السلمي:

إن المتتبع لتاريخ المغرب الاسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط خاصة ، يجد أنه معلم من معالم الحضارة الاسلامية ، فقد كان تربة خصبة لاحتضان ونمو الفرق والمذاهب الدينية والإسلامية ، هذه الأخيرة التي كان منشأها المشرق ، وتسربت أفكارها إلى المغرب ، إما نتيجة صراعات ، أو نتيجة وفود العلماء والفقهاء خاصة في عصر الولاة¹.

لقد أفسح الرستميون المجال للمذاهب والفرق من غير الإباضية كالسنة المالكية والمعتزلة والشيعة المجال ، فعقدت المناظرات وجلسات الجدل والتي كانت أغلبها مع المعتزلة ، ومنها تلك المناظرة التي امتدت لفترة طويلة

وقد كان الإمام عبد الوهاب طرفا في إحدى مساجلاتها ، وكانت تعقد خارج تيهرت على نهر مينة ، ومن أشهر علماء الإباضية الذين ناظروا المعتزلة وتفوقوا عليهم مهدي النفوسي ومحمود بن بكر اللذين سنأتي على ذكرهما في وقت لاحق².

ومما لاشك فيه أن تعدد المذاهب والفرق الدينية في المغرب الاسلامي في القرنين 2و3هـ ، لم يكن فقط عاملا للفتن والصراعات ، والتي حددت العلاقة بين أتباع هذه المذاهب والخلافة في المشرق سواء الأموية أو العباسية ، بل كان له أثر إيجابي في الحركة الفكرية والثقافية في هذه الفترة³.

إن حرية الفكر والتسامح المذهبي عنصران امتاز بهما أئمة الدولة الرستمية ، إضافة إلى تمسكهم بالتفتح الفكري والدليل على ذلك ، عقد مجالس للمناظرة تشجيعا لطلب العلم ، في جو يسوده التنافس العلمي، وكان من نتائجه تعدد المذاهب وحلقات المناظرة والجدل ، مما أسفر عن نشاط في حركة التأليف ، فكثر وضع الكتب للرد على المخالفين⁴.

¹ - محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج3 ، مؤسسة تاولت الثقافية ، 2010م ، ص58.

² - محمد عيسى الحيري : المرجع السابق ، ص236.

³ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص230.

⁴ - جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية ، ص109.

2-2 تشجيع وعناية الأئمة الرستميين بالعلم والعلماء

لقد كان لطابع الزهد الذي عرف به الأئمة الرستميين وسعيهم وراء الظفر بمرضاة الله، دور كبير في عنايتهم بالعلوم وبخاصة منها الدينية، لذلك بذلوا جهودا كبيرة لتنشيط الحركة الفكرية والعلمية في كامل الدولة¹

فقد حرصوا على التدريس في المساجد مجانا في علوم الدين واللغة ، وكانت هذه العلوم تطغى على الحياة الفكرية ، فقد اكتظت تيهرت كما سبق وأشرنا بمختلف المذاهب ، فكانت المجادلات ، مما اقتضى منهم مواجهة المعارضة السياسية التي لبست ثوبا مذهبيا، ما دفعهم إلى التعمق في الفقه وشؤون الدين ومسائل الفرق والبراعة في الجدل ومن هؤلاء الأئمة نذكر: عبد الرحمن بن رستم وابنه عبد الوهاب وكذلك الإمام أفلاح بن عبد الوهاب وأبو بكر بن أفلاح ، وأبو اليقظان².

ولما كان من شروط الإمامة ورئاسة الدولة الرستمية العلم ، هذا ما جعل كل أئمة الدولة من العلماء ، ذلك أن الدولة الرستمية لا تقبل لرئاستها إلا العلماء³ ، ونتيجة لحرصهم على التزود بالعلم ونشره فقد أضحت ربوع الدولة الرستمية ، وخاصة تيهرت من المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب يأتيها الطلاب من سائر الانحاء ، فقد تعددت بها اللغات واللهجات ، وجاب علماؤها مدن المشرق والمغرب ، رغبة في طلب العلم وتحصيله ، كما قصدتها مختلف الفرق والمذاهب لتسامح أئمتها⁴ كما سبق وذكرنا.

كان إمام الدولة الرستمية الاول عبد الرحمن بن رستم من كبار العلماء حيث أخذ العلم من المشرق ، وهو من حملة العلم الخمسة إلى بلاد المغرب ، ولعلمه الغزير قال عنه أحد معاصريه لا أعلم من يخرج مسائل دماء أهل القبلة في زماننا هذا إلا عبد الرحمن بن رستم بالمغرب⁵، فلقد كان يقضي أوقات فراغه وهو إمام الدولة في الدرس والتدريس والتأليف ، وكانت له حلقة في مسجد تيهرت يتولى التدريس فيها بنفسه في

¹ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص236.

² - عبد الحميد حسين حمودة : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي من الفتح الاسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية ،

ط1 ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، مصر ، 2006م ، ص343-344.

³ - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص332.

⁴ - محمود إسماعيل عبد الرزاق : المرجع السابق ، ص298.

⁵ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص265.

أوقات فراغه، وكذلك كان ابنه بعده الإمام عبد الوهاب ، الذي ينسب إليه كتاب بعنوان "مسائل نفوسة الجبل" ، وهو مجموعة من الفتاوى الشرعية كان علماء نفوسة يستفتونه فيها ، وذلك لغزارة علمه، فهو مرجع للعلماء ، ويدل أسلوب الكتاب على فصاحته وتمكنه من العربية ، وأبوابه تدل على عمق الفهم وسعة الباع في علم الشريعة¹.

ويقول أبو زكرياء أنه بعث بألف دينار لجلب الكتب من المشرق كما سبق وذكرنا. كما يشير ذات المؤلف إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب كان من أهل العلم ، وأنه كانت له حلق في المساجد ، حيث يقول "قعدت عليه أربع حلق يتعلمون عنه فنون العلم قبل أن يبلغ الحلم ، وبلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما²"

وكان قد أخذ عن أبيه العلم ، وعن كبار علماء عصره ، وأصبح الأفلح من الأئمة المعدودين والعلماء المشهورين ، وانفرد في علم الكلام واعتبر من أجلها إماما³، كما كان من الأدباء الفصحاء ، ترك شعرا ونثرا يدل على علو كعبه ، وقد أوردت كتب التاريخ من أنباء علمه ما يدل على درجته الرفيعة في العلم ، فقد ألف كتباً عديدة في العلم ، ونظم ديوانا كبيرا في الشعر ، وترك من خطبه ورسائله الشيء الكثير⁴ .

أما الإمام أبي بكر فيقول عنه ابن الصغير أنه كان " يحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين⁵ ، كما كان بلاطه منزل الادباء والشعراء ، يشجعهم باهتمامه بإنتاجهم ، ويرعاهم ويستأنس كذلك بالتاريخ ورواة أخباره ، فنشطت هذه الفنون في عهده⁶.

كما اهتم الأئمة ببناء المساجد والكتاتيب والمكتبات هذه المؤسسات التي ساهمت في نشر التعليم بين شرائح المجتمع.

3- العلاقات الثقافية والرحلات العلمية والتجارية

بالإضافة إلى العوامل السابقة التي أسهمت مساهمة فعالة في ازدهار الحياة العلمية والمؤسسات التعليمية في تيهرت ، هنالك عوامل أخرى كان لها دور كبير في هذا

¹ - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص332.

² - أبو زكرياء : المصدر لسابق ، ص136.

³ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص269.

⁴ - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص334.

⁵ - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص62.

⁶ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص271.

الازدهار ، ومنها نذكر التلاقح الحضاري والعلاقات الثقافية ، وكذا الرحلات العلمية والتجارية ، فكيف ساعدت كل هذه العوامل في الازدهار العلمي والتعليمي في الدولة الرستمية ؟.

3-1 الصلات الثقافية بين تيهرت وغيرها من الدول :

إن للتبادل الثقافي والعلاقات الثقافية دور كبير في تغذية الحياة العلمية ، كما تساعد على النشاط والتنوع ، ولابد أن أي دولة تؤثر وتتأثر بما يحيط بها من أفكار ، خارج أطر دولتها¹ .

لقد أدى نشاط الحركة الفكرية في تيهرت ، إلى اتجاه الرستميين إلى توثيق علاقاتهم الثقافية ، بمختلف البيئات العلمية والاحتكاك بمراكز الثقافة سواء في المغرب أو الأندلس أو في المشرق ، وكان الأئمة الرستميين في طليعة الباحثين عن هذه العلاقات² .

3-1-1- العلاقات الثقافية مع القيروان :

لقد واكبت الحركة التجارية النشطة للدولة الرستمية ، حركة فكرية بنفس نشاطها وحيويتها³ ، وقبل الحديث على العلاقات الفكرية لابد من ذكر الصلات السياسية بين الدولة الرستمية وجارتها الأغلبية.

انتهج الرستميون سياسة التعايش السلمي مع الأغلبية ، لما يربطهم من مصالح مشتركة ، في بادئ الأمر غير أن الأغلبية سلخوا فيما بعد مسلكا آخر للقضاء على أعداء الخلافة العباسية ، وذلك بتشجيع القلائل والخلافات الداخلية في الدولة الرستمية ، وحرصوا على مقاطعة الرستميين تجاريا وثقافيا ، غير أنه كانت هناك صلات بين تيهرت والقيروان اتسمت بصورة غير رسمية على المستوى الشعبي⁴ ، تمثلت في وجود مسجد ورحبة

¹ - إبراهيم بحاز : المرجع نفسه ، ص382.

² - محمد عيسى الحريزي : المرجع السابق ، ص236.

³ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص382.

⁴ - فراس سليم حياوي ، محمد عيسى حميد : الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية (160هـ-296هـ / 776م -

907م) ، مجلة كلية التربية الأساسية - جامعة بابل ، ع10/ كانون الثاني 2013 ، ص171-172.

خاصة بالقيروانيين في تيهرت¹، جماعة القرويين هؤلاء الذين ساهموا في الحركة العلمية في تيهرت².

على الرغم من أن الاباضية طردوا مرارا من القيروان، فإننا نجد أعدادا كبيرة منهم كانت تسكنها، خاصة من جبل نفوسة لقربهم الجغرافي، من بينهم العلماء والفقهاء أمثال عمر بن حفصون النفوسي الفقيه العالم الناقد وفضل بن عبد الله، وما يدل على علاقة تيهرت بالقيروان، شخصية يوسف الفتاح الذي تعلم بتيهرت، وانتقل إلى القيروان ليعلم إباضيته³، بالإضافة إلى شخصية أخرى، تمثلت في الشاعر والمحدث والفقيه بكر بن حماد الذي أخذ العلم عن علماء القيروان ومنهم: سحنون التنوخي، وعون بن يوسف الخزاعي⁴.

وإلى جانب هؤلاء هناك من كانت لهم منازل ومساجد وحلقات في القيروان وأحوازها، فنجد رجل يدعى أبا حبيب، عالم وفقيه إباضي من العرب في قفصة شرقي القيروان، ومن الممكن أن يكون بعض رعايا الدولة الرستمية قد التحقوا ببيت الحكمة أو جامعة إفريقية للعلوم، وهذا لقربها من جهة وكونها مركز المالكية من جهة أخرى، فلا يستبعد أن يقصد مالكيوا تيهرت بيت الحكمة⁵.

3-1-2 مع الأدارسة وبني مدرار

لم تكن هنالك خلافات مذهبية بين الدولتين الجارتين الادريسية والرستمية، إذ أن المذهب الإباضي أقرب المذاهب الخارجية إلى مذهب أهل السنة⁶، ولا يعرف عن العلاقة بينهما في المجال الثقافي إلا ما ورد على لسان الشاعر بكر بن حماد الذي مدح بعض حكام الأدارسة⁷.

¹ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص382.

² - جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية ، ص108.

³ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص383.

⁴ - فراس سليم حياوي ، محمد عيسى حميد : المرجع السابق ، ص173.

⁵ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص384.

⁶ - فراس سليم حياوي ، محمد عيسى حميد : المرجع السابق ، ص175.

⁷ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص384.

أما دولة بني مدرار في سجلماسة ، فقد كان مذهبها هو المذهب الصفري الخارجي ، مثلهم في ذلك مثل الرستميين ، فالتقت بذلك أهدافهم مع بعض وتوطدت بينهم أواصر الصداقة ، وهذا أثر في تعزيز العلاقات الثقافية بينهم ، لدرجة ظهور مؤثرات المذهب الإباضي بين مواطني دولة بني مدرار ، وحتى بين أئمتهم وعلمائهم¹ ، ولعل ما زاد من توثيق هذه العلاقات هو المصاهرة بين الدولتين ، حيث أن اليسع بن أبي القاسم طلب أروى بنت عبد الرحمن بن رستم لابنه مدرار ، وقد شبه ابنها بجده عبد الرحمن ، وقيل أنه اعتنق الإباضية مذهب أمه وجده ، كما تشير كتب الإباضية إلى وجود علماء لها في سجلماسة كابن الجمع الذي استوطن المدينة ودرس بها².

3-1-3 مع الأندلس

لقد كانت هناك علاقة تجارية وعلاقة صداقة بين الدولة الرستمية والدولة الأموية في الأندلس ، وكانت مستمرة بينهما ، فقد كان في تيهرت علماء أجلاء وشخصيات بارزة تنسب إلى الأندلس منهم : مسعود الأندلسي ، وعمران بن مروان الأندلسي ، وهما من مجلس الشورى الذي عينه الإمام عبد الرحمن بن رستم ، ليختاروا واحدا منهم للإمامة³ ، فقد كانا مرشحين للإمامة بعده مع خمسة آخرين ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عمق العلاقات بين البلدين وقوتها.

ومن علماء المغرب الذين قصدوا الأندلس نذكر أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن التنسي كان مفتيا بجامع الزهراء ، وعبد الرحمن بن بكر بن حماد التيهرتي الذي حدث بقرطبة عن أبيه .

ومن العلماء التيهرتيين أيضا الذين قصدوا الأندلس للتعلم والتعليم أيضا نذكر : القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التيهرتي وابنه أبي الفضل المعروف بالبزاز ، وإن كان هؤلاء كلهم من المالكية ، فلا يعرف اسم رجل عالم من الإباضية رحل إلى الأندلس ، بينما كانوا يقصدون المشرق والبصرة⁴.

¹ - فراس سليم حياوي ، محمد عيسى حميد : المرجع السابق ، ص 175.

² - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 385.

³ - علي دبوز : المرجع السابق ، ص 313.

⁴ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 386.

3-1-4 مع مصر

كانت العلاقات الثقافية بين البلدين واسعة ، وذلك لقربها من جهة - فقد كانت حدود الدولة الرستمية الشرقية تصل إلى خليج سرت- ولكونها تقع على طريق القوافل المؤدية إلى المشرق من جهة أخرى¹، فتدفقت إليها القوافل التجارية، وكان التجار الرستميون لا يحملون إلى الأقطار التي يغشونها سلعهم وحدها ولكن يحملون أخلاقهم والحماس لدينهم ، وأفكارهم فيبثون كل ذلك في الطوائف التي يختلطون بها في الأسواق².

ولقد اعتنق عدد من المصريين المذهب الإباضي ، حتى أصبح لهؤلاء المصريين وزنهم في الدولة الرستمية ، ومن هؤلاء شعيب بن معروف المصري ، الذي قدم إلى تيهرت أيام الفتنة التي حدثت بين الإمام عبد الوهاب ويزيد بن فنين ، وكان له دور إلى جانب هذا الأخير ضد الإمام عبد الوهاب ، فلم ينجح في مسعاه فعاد إلى مصر ، كما استعان الإمام عبد الوهاب بخدمات ابن عباد المصري في الإفتاء وذلك عندما قرر الخروج إلى الحج ، وكان من علماء الإباضية في مصر³.

3-1-5 مع الدولة العباسية

كانت العلاقات السياسية بين الدولتين ، تتسم بالعداء ، إذ أن ما ساعد على انتشار المذهب الإباضي هو أن العباسيين كانوا أشد وطأة على الخوارج من الأمويين⁴ ، هذا عن الجانب السياسي أما في مجال العلاقات الثقافية ، فقد كانت قوية بين الرستميين وإباضية المشرق ، الذين هم جزء من رعايا الدولة العباسية في بغداد والبصرة وغيرها ، وتجسدت العلاقات إما بتبادل الكتب أو رحيل العلماء من الطرفين ، والدليل على ذلك إرسال الإمام عبد الوهاب لألف دينار لشراء الكتب من المشرق⁵.

¹- فراس سليم حياوي ، محمد عيسى حميد : المرجع السابق ، ص 181.

²- محمد علي دبوز : المرجع لسابق ، ص 314.

³- فراس سليم حياوي ، محمد عيسى حميد : المرجع السابق ، ص 181.

⁴- السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول ، ج 3 ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، مصر ، 1993 ، ص 201.

⁵- فراس سليم حياوي ، محمد عيسى حميد : المرجع السابق ، ص 170.

3-1-6 مع بلاد السودان

لقد كانت تربط بين البلدين علاقات تجارية بالدرجة الأولى ، فقد كانت القوافل الرستمية الضخمة تذهب بانتظام إلى أقطار السودان الوسطى والغربية والشرقية ، وكان لها علاقة صداقة وثيقة بشمال السودان الشرقي في جنوب مصر، وذلك بحكم الجوار والتجارة ، وبعامل الاسلام الذي نشرته الدولة الرستمية في ذلك القطر فصار جزءا من العالم الاسلامي¹، وقد ظهرت آثار الاتصال واضحة على أهالي ممالك السودان في سلوكهم وطرق معيشتهم ، فكثيرا ما كان يرافق القوافل التجارية عدد من الفقهاء، وكان لجهود هؤلاء الفقهاء دور كبير في تأسيس دولة مالي الاسلامية، وانتشرت اللغة العربية بين الكثير منهم، كونها لغة القرآن الكريم².

لقد تحدثت المصادر الإباضية عن عدد من علمائها الذين قطنوا ببلاد السودان ، أو دخلوها ومنهم : عبد الحميد الفزاني ، كما تذكر رواية عن أن أبي يحيى ابن أبي القاسم الفرستائي كانت له رحلة إلى بلاد السودان التقى فيها بأحد ملوكها ودعاه إلى الاسلام فاسلم، ولقد استمرت العلاقات حتى بعد سقوط الدولة الرستمية³

3-2 الرحلات العلمية والتجارية ودورها

3-2-1 تعريف الرحلة : لغة: جمعها رحل ورحلات ، وهي الانتقال إلى مكان آخر⁴، لقوله تعالى " لإيلاف قريش (1) إلافهم رحلة الشتاء والصيف (2) " ⁵، ورحل يرحل رحىلا وترحالا - الشخص : سار ومضى : "رحل عن البلد"⁶.

اصطلاحا : الرحلة العلمية من الوسائل الهامة لتحصيل المعارف وتوسيعها عن طريق لقاء العلماء ، وهنا يعرفها ابن خلدون في مقدمته بقوله " في أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد من كمال التعليم والسبب في ذلك : أن البشر يأخذون معارفهم

¹ - محمد عي دبوز : المرجع السابق ، ص309.

² - فراس سليم حياوي ، محمد عيسى حميد : المرجع السابق ، ص177.

³ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص389.

⁴ - جماعة من كبار اللغويين العرب : المعجم العربي الأساسي ، تق محي الدين صابر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 2003م، ص212.

⁵ - سورة قريش : الأيتين 1و2.

⁶ - جماعة من كبار اللغويين : المرجع لسابق ، ص211.

وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل : تارة علما وتعلّما وإلقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ¹، فالرحلة هي مخالطة الناس والأقوام ومصدر هام لرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة ، كما لها قيمة تعليمية للإنسان من خلال إثراء فكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين .

إن الرحلة قديمة قدم الإنسان ذاته ، إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا وإن اختلفت دوافع الرحيل ².

ولما كانت الرحلة عنصرا قويا في حياة المجتمع الاسلامي ، فإنها كانت تتم لأسباب منها:

- الرحلة في طلب العلم
- الرحلة في سبيل التجارة.
- رحلة المغامرين وجاوبي الآفاق
- الرحلة من أجل الحج ³.

3-2-2 الرحلة العلمية والحجبة ودورها في ازدهار العلم

كانت الرحلات التي يقوم بها العلماء إلى مختلف أنحاء العالم الاسلامي ، تمثل مظهرا من المظاهر الحضارية الواضحة ، وقد تميز علماء الغرب الاسلامي على وجه الخصوص بكثرة رحلاتهم العلمية إلى المشرق لطلب العلم ، فما من عالم من علمائهم إلا وكانت له رحلة ، باستثناء القليل منهم ، وكان طلب العلم والاستزادة منه أحد الأسباب الرئيسية التي دفعتهم إلى الرحلة فضلا عن أداء فريضة الحج ، فكان الهدف لقاء العلماء والشيخوخة ⁴ ، وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون " فلقاء أهل المشايخ ، يفيد في تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها ... فالرحلة لا بد منها في طلب العلم

¹ - عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2004 م ، ص614.

² - حسن محمد فهمي : أدب الرحلات ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1989م ، ص15.

³ - محمد رشيد الفيل : أثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب ، نشرة دورية تعنى بالبحوث

الجغرافية ، يصدرها قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية ، ع9/سبتمبر 1979م ، ص10.

⁴ - ذونون طه : أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس صور من التواصل الحضاري مع المشرق ، ط1 ، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، 2014م ، ص333.

لاكتساب الفوائد...¹، وكذلك تبادل الأفكار وحمل المؤلفات والرجوع بها إلى الغرب الاسلامي ، فأصبحت الرحلة في نظر الكثيرين مسألة لابد منها في طلب العلم². تعتبر رحلات الحج من أهم الوسائل التي ربطت المغرب بالشرق ولا زالت³ ، فهي رحلة ترتبط بالدين والدنيا معا ، فكان الارتحال في طلب العلم منذ القرن الأول للهجرة أشبه بضرورة لتكملة الدورة الدراسية ، ولعل الشيء الذي شجع المسلمين على مثل هذه الرحلات وحدة العالم الاسلامي أول الأمر ، ثم بعد تفككه بقيت الوحدة الدينية واللغوية⁴، وحسب المصادر الإباضية فإن أهل جبل نفوسة كانوا أكثر الناس حجا ، كما كانت قوافل الحج تخرج أيضا من تيهرت ، وفي إحداها اختفى الإمام أبو اليقظان وسافر إلى مكة ، وقد كان للحج مكانة عند المغاربة ، ولاشك أن الأعداد الكبيرة من الحجاج المغاربة كانت تستفيد من الاتصال بمشايخ الشرق وعلمائه⁵، وقد يقضي الحاج أشهرا بل سنوات في طريقه إلى مكة والمدينة ، وفي هذا الطريق يكون التزود بالمعلومات الجغرافية والبشرية في كل منطقة يمر بها الحاج ، وعند الوصول إلى بيت الله الحرام يكون هناك تبادل في المعلومات والآراء سواء أكانت جغرافية أو أدبية أو اقتصادية ، وجوانب أخرى ، وتعد ندوات علمية تطرح فيها قضايا العالم الاسلامي⁶، كان لابن محبوب وأبيه⁷ خيام تعرف باسم مضارب محبوب ، كان يقصدها المغاربة للتعرف عليهم واستزادة العلم منهم ، وقد استغل الإباضية من أهل المشرق خاصة موسم الحج لبث دعوتهم بين الحجاج القادمين من مختلف البقاع ، فأقاموا الخيام التي تعتبر بمثابة مدارس متنقلة لنشر

¹ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 614.

² - ذونون طه : المرجع السابق ، ص 333.

³ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 390.

⁴ - محمد رشيد الفيل : المرجع السابق ، ص 11-12.

⁵ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 391.

⁶ - محمد رشيد الفيل : المرجع السابق ، ص 11.

⁷ - محبوب بن الرحيل العيدي : أحد الأخيار الأنجار ، وممن سبق إلى تخليد سير السلف الأخيار مما يحصل عنده عنهم من الآثار وجمع ذلك في سلك واحد بين غرائب الفقه ، وعجائب الأخبار . أنظر: الدرجيني : الطبقات ، ج 1 ، ص 278.

المذهب¹، وقد أسهم هؤلاء العلماء والحجاج الخارجين من تيهرت والقادمين إليها في نقل مختلف العلوم والفنون .

ومن العلماء الذين رحلوا إلى القيروان ومصر من أجل طلب العلم نذكر : أبي الفتح الذي رحل إلى القيروان وأيضا أبو عبد الله فضل الذي كان يسكن في سوق الأحد-غربي القيروان-وكذلك بكر بن حماد التيهرتي الذي نشأ في تيهرت ثم قصد المشرق سنة 217هـ²، بالإضافة إلى صاحب كتاب "شرائع الدين" لوأب بن سلام الذي التقى بالعالم الإباضي المصري محمد بن عبد الملك الحجازي قبل سنة 250هـ ، ومن العلماء الإباضية أيضا الذين قاموا برحلات إلى المشرق عبد العزيز بن الاوز ونفاث بن نصر النفوسي الذي زار بغداد³.

لم تكن الرحلة وقفا على المغاربة فقط بل رحل المشاركة غربا لطلب العلم ، وأغلب هذه الرحلات التي قام بها بعض علماء المشرق لبلاد المغرب هي رحلات لعلماء الإباضية ، ومن الذين ذكرت المصادر رحلاتهم نذكر أقدم رحلة والتي تعود لشعيب بن معروف حيث انطلق في رحلته من مصر إلى البصرة ثم عاد منها إلى مصر، ثم ارتحل إلى تيهرت عقب وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم ، كما يصنف أبوغانم بشر بن غانم الإباضي أيضا ضمن أصحاب الرحلات ذلك لأنه التقى بشعيب بن المعروف وهو في طريقه إلى نفوسة وتيهرت ، وهناك روى وأخذ عنه علم الإباضية⁴، وقد ترك أبو غانم مدونته في مكتبة المعصومة أهداها للأئمة بتيهرت⁵، كما كان لزيارة المؤرخ والجغرافي العربي اليعقوبي أثر ثقافي واضح حيث زار أقطار المغرب الاسلامي ، إذ زار تيهرت وغيرها ، ونقل مشاهداته التاريخية والجغرافية في كتابه " البلدان "⁶، وقيل أنه زارها في أواخر أيام أبي حاتم بن أبي اليقظان (281هـ-294هـ)، ومن الكتب والرسائل التي

¹ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص392-393.

² - جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص108.

³ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص394.

⁴ - خديجة طاهر منصور : العلماء المشاركة ببلاد المغرب ودورهم في الحركة الفكرية (140هـ-668هـ/757-1269م) ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة وهران 1 ، 2018م-2019م ، ص179.

⁵ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص397.

⁶ - خديجة طاهر منصور : المرجع السابق ، ص179.

وصلت بلاد المغرب كتب محبوب بن الرحيل وابنه في الفقه وعلم الكلام والعقائد والأخبار عرف عند نفوسة "بسيرة بن محبوب إلى أهل المغرب"¹.

3-2-3 الرحلة التجارية

لقد كان للتجارة دور كبير في تنشيط وتفعيل الحركة الفكرية والثقافية ، فتظهرت كان لها شأن كبير في المبادلات التجارية ، فتوافد عليها التجار من أماكن بعيدة ، كبلاد فارس والعراق ومصر والقيروان وحتى التجار المسيحيون²، يقول ابن الصغير " واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة"³، إن اتساع المبادلات التجارية الرستمية سمح للتجار ومرافقيهم من طلبة العلم أن يجلبوا معهم نفائس الكتب من المشرق ، لتزويد مكتبة تيهرت ، وبهذا كانت التجارة وسيلة لتبادل السلع والأفكار إذ أن التاجر غالبا مايكون من العلماء⁴.

وبفضل هذه الرحلات احتك علماء المغرب الأوسط بعلماء باقي دول المغرب والمشرق ، كما كان للوراقين والنساخ دور في انتشار العلوم وتنشيط التبادل الثقافي ، فقد كانوا ينتقلون بحرية تامة ويحظون بمكانة مرموقة لدى العلماء والأمراء ، فأدى ذلك إلى انتشار الكتب بين طلاب العلم⁵.

¹ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص397.

² - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص245.

³ - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص32.

⁴ - جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص282.

⁵ - فطيمة مطهري ، المرجع السابق ، ص246-247.

الفصل الثاني

المؤسسات التعليمية وأصناف العلوم

1- مؤسسات التعليمية في الدولة الرسمية

1-1 الكتاب

2-1 المساجد والجوامع

3-1 المكتبات

2- أصناف العلوم وأهم العلماء

1-2 العلوم النقلية

2-2 العلوم العقلية

3- مكانة المرأة الرسمية العلمية.

عكف حكام الدولة الرستمية على انشاء المؤسسات التعليمية لنشر التعليم بين أوساط المجتمع الرستمي بكافة شرائحه وأطيافه، وفي كافة أصناف العلوم ، فلم يقتصر اهتمامهم على تعليم الصغار دون الكبار، ولا الرجال دون النساء، وإنما كان التعليم معمما وشاملا . فما هي يا ترى أهم المؤسسات التعليمية التي أنشأت لهذا الغرض ؟ وما هي أصناف العلوم المتداولة وأشهر علماء هذه الدولة ؟.

1-المؤسسات التعليمية في الدولة الرستمية

إن لازدهار الحياة العلمية والحركة الثقافية في الدولة الرستمية ، دور في تطور التعليم الذي ساهم في انتاج جيل من العلماء ، قادوا المسيرة العلمية ، وهنا يظهر لنا ما للمؤسسات التعليمية من دور كبير في تزويد الطلاب بمختلف العلوم لأجل ذلك اهتم الرستميون بتشبيدها ، وذلك تشجيعا لطلب العلم ،وقد اختلف دور هذه المؤسسات حسب الأستاذ بلغيث من فترة لأخرى حيث يقسمها إلى أربعة أنواع كالتالي:

مؤسسات تعبدية تعليمية : وتتمثل في المساجد ، ومؤسسات أوقفت على التعليم وحده وهي متصلة بالمسجد حيناً ، ومنفصلة عنه حيناً آخر ، ومؤسسات تعبدية جهادية مثل الأربطة والرباطات ، والتعليم في المنازل ، وهو إما خاص أو عام فالأول في منازل المؤدبين ، والثاني في منازل العلماء¹، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد المؤسسات التعليمية في الدولة الرستمية والتي كانت كالتالي:

1-1 الكُتاب :

جمعها كتاتيب وهي من أقدم المؤسسات التعليمية في التاريخ الاسلامي ، وجدت قبل ظهور الاسلام ، ثم أصبحت بعد ظهوره المكان الرئيسي لتعليم الصغار القرآن الكريم ، وقد عرف العالم الاسلامي وجود نوعين من الكتاب الأول هو : الكتاب لخاص بتعليم القراءة والكتابة ، وكان غالبا في منازل المعلمين ، أما الثاني فهو : الكتاب الخاص بتعليم القرآن ومبادئ الدين ، وكان مكانه المسجد غالبا²، أما مفهوم الكُتاب فيمكن تعريفه على

¹ - محمد لأمين بلغيث:فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي،ط1،مطبعة أنترسيني،الجزائر ،2007،ص20-

21 .

² -عبد الله عبد الدائم :التربية عبر التاريخ (من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين) ، ط5، دار العلم للملايين ،بيروت ، لبنان ، 1984م ،ص 146.

أنه المكان الذي يتعلم فيه الصبيان وسبب تسميته بالكتاب ، هو أن الطفل يتعلم فيه الكتابة وقراءة القرآن وشيئا من مبادئ الدين ، وهي عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد¹.

وقد كان مفصولا عن المسجد ، وذلك لهدفين رئيسيين هما: أن الكتاب كان لتعليم الصبيان الذين لم يبلغوا سن الرشد لأنه في المسجد لابد أن يكون الطلبة على طهارة تامة ، أما الهدف الثاني فهو أنه كان يدرس فيه العلوم الدينية فقط ، على العكس من المساجد التي تنوعت فيها مختلف العلوم العقلية والنقلية² .

وقد انتشرت في الدولة الرستمية الكثير من الكتاتيب تشجعا منها لطلب العلم وتسهيلا لتحصيله لكل الناس ، شأنها شأن كل البلاد الاسلامية ، وفي هذا يقول ابن سحنون عن الكتاتيب "...ثم التفتوا لتعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلا "كتابا" بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز"³. ثم يضيف "...فمهما كانت عناية السلف بإيجاد الكتاتيب ، وإنماء عددها وإقبالهم على تحسين طرق تعليمها فإنهم لم يعيروا تنميقها وتكليف بنائها أية أهمية ، فكان الكتاب على مدى العصور بناية بسيطة في الغالب، على هيئة البيت المربع أو المستطيل لم تزخرف جدرانه أو قاعته بأدنى تنميق من زخرف البناء ..."⁴

1-2 المساجد والجوامع :

يرتبط تاريخ التربية الاسلامية بالمسجد ارتباطا وثيقا ، فقد قامت حلقات الدراسة فيه، منذ النشأة الاولى واستمرت كذلك على مر السنين ، وما جعله مركزا ثقافيا ذلك أن الدراسات أيام الاسلام الأولى كانت دراسات تشرح تعاليم الدين الجديد ، ثم توسع في فهم مهمته في العصور التالية فاتخذوه مكانا للعبادة ومعهدا ودارا للقضاء⁵.

عمل الرستميون على بناء المساجد والجوامع ، فأول ما شرع في بنائه بتيهت هو المسجد الجامع الذي بناه عبد الرحمن بن رستم ، والذي هو بمثابة مدرسة إباضية ،

¹ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص 58-59 .

² - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 277 .

³ - محمد بن سحنون: آداب المعلمين ، تح حسن حسني عبد الوهاب، مر وتع محمد العروسي المطوي ، دار تونس للنشر، 1972م، ص 33.

⁴ - محمد بن سحنون : المصدر نفسه ، ص 55 .

⁵ - عبد الله عبد الدائم : المرجع السابق ، ص 152-153.

استقطبت معتنقي هذا المذهب من كل مكان لدوره في إنشاء الفقه الإباضي وتطويره¹ لقد شغف الأئمة بالعلم فاهتموا به ، ومن هنا جاء حرصهم على انشاء المؤسسات العلمية تشجيعاً منهم للعلم والعلماء، وقد عرف عن الدولة الرستمية الحرية الفكرية والدينية ، فلم يقمع المخالفين للمذهب الإباضي فكانت لهم بيوتهم ومساجدهم الخاصة التي يعرفون بها "...حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري ، وهذه لفلان القروي..."²

كما اهتم أهالي جبل نفوسة في هذا العهد بتهيئة المساجد وبنائها ، في مختلف مدنهم وقراهم وذلك لما يمثله من أهمية دينية وتعليمية للمجتمع الاسلامي ، وكانت هناك في الجبل العديد من المساجد منها: **مسجد أبي صال الدركلي (2هـ)** وهو عبارة عن بناء تحت الأرض أسفل ربوة دركل ، قام بتأسيسه أبو الخليل الدركلي في قريته ، **ومسجد أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني** في قرية إجانون أسس في ق3هـ ، **ومسجد سعد بن أبي يونس الطمزي** أسسه الشيخ سعد في مدينة طمزين في ق3هـ ، **مسجد أبي معروف** في مدينة شروس ، وأيضاً **مسجد عمرو بن الفتح المساكني** أسسه عمرو بن عمرو في ق3هـ في قرية إمساكن (قطرس حالياً)³، وقد كان لكل هذه المساجد دور في نشر العلوم والفنون الاسلامية إلى جانب نشر الثقافة ، واللغة العربية وكثيراً ما عقدت فيها المجالس العلمية والحلقات والمناظرات.

1-3 المكتبات :

لاشك أن الحديث عن المكتبات يدخل في إطار الحديث عن معاهد التعليم ، ذلك أنها كانت طريقة القدماء في نشر العلم ، ولما كان يتعذر على غير الأغنياء اقتناء الكتب ، لجأ من أحب تعليم الناس إلى إنشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ويفتح أبوابها لهم ، ويمكن تقسيم المكتبات التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي إلى ثلاثة أقسام مكتبات عامة أنشأت في المساجد لتكون في متناول الدارسين ، ومكتبات بين العامة والخاصة أنشأها الخلفاء والملوك وجعلوا دخولها مباحاً لطبقة خاصة من الناس، وهذا النوع نجده في

¹ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص64، 61.

² - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص32.

³ - محمد حسين كوردي : المرجع السابق ، ص59-64.

المشرق دون المغرب ، و المكتبات الخاصة أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص ، ومن الصعب أن تجد عالما أو أديبا دون أن تكون له مكتبة يرجع إليها ¹.

لم يكن دأب الرستميين التسامح مع خصومهم فحسب ، بل كانوا كذلك يشجعون الحركة العلمية بكل ما توفر لهم من وسائل وخاصة بتوجيه الوفود إلى المشرق لجلب العلماء إلى تيهرت وشراء الكتب واقتنائها بأبهض الأثمان ، حتى تكونت لهم عدة مكتبات أشهرها مكتبة قسبة (المعصومة) التي كانت حافلة بالكتب القيمة والمخطوطات النادرة ² ، هذه المكتبة التي كانت تضم نحو 300 ألف مجلد من مختلف أنواع العلوم والفنون ، ولقد خربها الفاطميون ، بعد أن أخذوا منها ما اهتموا به من كتب الرياضيات والفلك والهندسة والطب ³، كما كانت مدن جبل نفوسة وقراه تشتمل على مئات الخزائن المملوءة بالكتب النفيسة ، وقد حرق معظمه في الفتن المتصلة التي ابتلي بها الجبل بعد القرن 10 هـ ، وأنتهب الكثير من قبل الايطاليين الغزاة ⁴.

ولم يقتصر التعليم في المغرب الأوسط على الكتاتيب والمساجد والمكتبات فحسب بل كان يتم أحيانا في بيوت العلماء ، حيث تشير المصادر إلى أن هناك العديد من الطلاب من تعلم في بيت معلمه ، كما تولى بعض الفقهاء تعليم بناتهم وتهذيبهم في البيوت ⁵، ومن منازل العلماء التي كانت دُورا للتعليم والتثقيف نذكر: منزل أبي ذر إبان بن وسيم الذي كانت تقصده النساء فضلا عن الرجال والطلبة ، ومنزل أبي هارون الجلامي موسى بن يونس النفوسي ⁶، هذا بالإضافة إلى قصور الأئمة الرستميين ، فقد كان الإمام عبد الرحمن المعلم الأول في قصره ، حيث كان يعطي الدروس ، وكذلك فعل ابنه الإمام عبد الوهاب الذي كان قصره مدرسة لتخريج عدد من الطلبة الرستميين بغرض تعيينهم في مناصب كبرى في الدولة ، وكذلك كان قصر الإمام أفلح ، وقصر الإمام أبي بكر الذي

¹ - عبد الله عبد الدائم : المرجع السابق ، ص 157-159.

² - محمد رمضان شاوش : المرجع السابق ، ص 37.

³ - السيد عبد العزيز السالم : تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، مصر ، 1999م ، ص 490.

⁴ - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص 345.

⁵ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص 68.

⁶ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 285-286.

تذكر المصادر أنه كان يعج بالعلماء والأدباء والشعراء ، وأهم ماميز مجالس قصور الأئمة روح الانضباط والتنظيم ، وكانت هناك طريقة أخرى وهي تنقل بعض العلماء رفقة طلبتهم يطوفون بالقرى والمدن من أجل التعليم ، ويعتبر عاصم السدراتي من المعلمين الذين وقفوا حياتهم لذلك ¹.

كانت كل نواحي الدولة الرستمية قد أقبلت على العلم ، وتنافست في فتح المؤسسات التعليمية ، ونشر الثقافة الإسلامية في مدنها وقراها ، وفي باديتها فكانت تعج بالعلماء ، ومن أهم مدنها الشمالية : مليانة و تنس و مستغانم و معسكر و الشلف وغيرها ومدن الجنوب أهمها : ورجلان وتاويلا وتاجموت ، أما الشرق فنجد : جبال الأوراس ²، أما المراكز والمدن المهمة فنذكر: العاصمة تيهرت ومدينة شروس بجبل نفوسة ³ ومدينة جادو ⁴ ، وقرية إجنانون وجزيرة جربة ⁵ وغيرها الكثير.

2- أصناف العلوم وأهم العلماء :

العلوم صنفان علوم نقلية وأخرى عقلية ، وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون "إعلم : أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار ، تحصيلًا وتعلِيمًا ، هي على صنفين : صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره ، وصنف نقلي وضعه" ⁶.

2-1 العلوم النقلية : ويقصد بها علوم الدين وهذه العلوم لاقت اهتماما كبيرا ، وهي تشمل القرآن والسنة من خلال دراسة التفسير والحديث ، ويتجلى هذا الاهتمام من خلال تأسيس المساجد التي كانت المجال الخصب لازدهار هذه العلوم .

2-1-1 علم التفسير :

لغة: إيضاح الشيء وبيانته مشتق من الفعل فسر أي وضح وكشف أي كشف المراد من اللفظ

¹ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص 68-69.

² - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص 339.

³ - السيد عبد العزيز السالم : تاريخ المغرب ، ص 489.

⁴ - مدينة جادوا: مدينة كبيرة لها أسواق ويسكنها يهود كثير . أنظر : البكري : المصدر السابق ، ص 9.

⁵ - محمد عيسى الحريزي : المرجع السابق ، ص 238.

⁶ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 456.

اصطلاحاً: هو العلم الذي يفهم به كتاب الله ، من حيث بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه ، وكذلك أسباب نزول آياته ومقاصدها ¹، وقد اهتم العلماء الرستميون بهذا العلم لاتصاله بالقرآن الكريم المصدر الأساسي للتشريع الاسلامي ، وسعى الكثير من العلماء لتفسيره ، ونزوله بلغة العرب لايحتمل أن الكل يفقه أحكامه ومعانيه ، لأنه يتطلب قدرة عقلية عالية ، كما نجد المجتمع الرستمي طغى عليه الجنس البربري ²، فأوجب ذلك ترجمة من اللغة العربية إلى البربرية ليستوعبها أغلب الناس ، فلم تخلو حلقات الوعظ والتدريس ومجالسها من شرح لألفاظ القرآن الكريم وتفسير آياته ³.

ومن العلماء الإباضيين الذين اهتموا بالتفسير في الدولة الرستمية نذكر : **لواب بن سلام التوزري المزاتي** توفي بعد 273هـ/887م ، الذي كان عالماً بالأصول والفروع ⁴، هذا الأخير الذي قام بتفسير جزء من سورة الشورى وتعرض إلى حكم حجاب المرأة ، ولم يكن في تفسيره غموض أو التباس ، وكان يشيره في تفسيره إلى الحسن البصري وابن عباس ⁵ ، بالإضافة إلى أشهر المفسرين في الدولة الرستمية وهو **هود بن محكم الهواري** ، الذي يعتبر تفسيره مرجعاً أساسياً للإباضية ⁶ ، ومما يدل على أهمية هذا الكتاب ما ذكره الدرجيني من قصة اختلاف رجلين عن كتابه واحتكامهما إلى القاضي يقول " ذكر أبو الربيع أن رجلاً من مزاته قارض رجلاً بمال ... فبينما هو ذات يوم في بعض شؤونه ، إذا بكتاب تفسير القرآن ليهود بن محكم الهواري يعرض للبيع ، فاشتراه وجاء به إلى رب المال ... فتخاصما وتشاتما...⁷، كما تذكر المصادر والمراجع الإباضية عبد الرحمن بن رستم الذي ألف كتاباً في التفسير غير أنه لم يصلنا ، ومن أشهر المفسرين نذكر أيضاً : **محمد بن يانس الدركلي النفوسي المعروف بابن أبي المنيب** عاش بين (200هـ - 250هـ/815م - 864م) وهو أحد أعلام نفوسة عرف بمعرفته العميقة لمعاني القرآن الكريم

¹ - محمد عليلي : المرجع السابق ، ص302.

² - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص128-129.

³ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص298.

⁴ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص130.

⁵ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص299-300.

⁶ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص131.

⁷ - الدرجيني : الطبقات ، ج2 ، ص345.

، ورغم اعتباره من المفسرين في عصره غير أنه لم يترك مؤلفاً¹، يقول عنه الدرجيني "... المجالد لنفسه المتصف بالمآثر في أهل جنسه ، ذو الدعوات المجابات ، والخشوع والإنابة ..."².

وأهم المؤلفات في علم التفسير في هذه الفترة نذكر :

- كتاب " النفيس " لعبد الرحمن بن رستم والذي لم يصلنا منه شيء .
- كتاب " شرائع الدين " للواب بن سلام التوزري المزاتي الذي تطرق إلى تفسير سورة الشورى كما سبق وأشرنا³، اتبع منهج يعرف بتفسير القرآن بالقرآن ، كما أنه يستعين بالأحاديث التي تبين وتوضح الآية⁴.
- وكذلك كتاب تفسير يتكون من أربعة أجزاء ليهود بن محكم⁵ اتبع فيه منهج تفسير القرآن الكريم بالمأثور من الأقوال سمى الكتاب " تفسير كتاب الله العزيز"⁶.

2-1-2 علم الحديث :

الحديث والسنة هو كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير فالحديث يشير إلى القول والسنة إلى العمل ، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم⁷، يقول ابن خلدون " وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة ، لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه ...ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث وأصعبها "⁸ ، ومن خلال الاطلاع على المصادر الإباضية لم نجد إشارة إلى مؤلفات إباضية في مجال علم الحديث بالنسبة للفترة الرستمية ، وهذا يمكن أن يكون راجعاً إلى عدم عنايتهم بالتدوين في هذا العلم⁹ ، بالإضافة إلى طغيان المذهب الإباضي ، كما

¹ - محمد عليلي : المرجع السابق ، ص305.

² - الدرجيني : الطبقات ، ج2 ، 296.

³ - قرواش سومية : المرجع السابق ، ص114.

⁴ - محمد عليلي : المرجع السابق ، ص305.

⁵ - قرواش سومية : المرجع السابق ، ص114.

⁶ - محمد عليلي : المرجع السابق ، ص306.

⁷ - قرواش سومية : المرجع السابق ، ص126.

⁸ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص461.

⁹ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص309.

نجد أبرز حدث وقع في نفوسة في العهد الرستمي مرتبط أشد الارتباط بعلم الحديث وهو قدوم **نفاث بن نصر** من بغداد مستسحاً معه ديوان يرجع إلى **جابر بن زيد الأزدي** ، وهي النسخة الفريدة الموجودة آنذاك في خزانة الخليفة العباسي¹ ، ويقول أبي زكرياء عن نفاث " وبلغنا أنه أعطي من العلم منزلة عظيمة وفي الفهم ولكنه أفسد ذلك كله بالחסد وحب الأمور"².

كما نجد إشارات في المصادر الإباضية إلى أن الإمام **أفلح بن عبد الوهاب** كان له روايات في الحديث³ ، بالإضافة إلى بعض العلماء منهم : **أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري** ، **وأبو ذر إبان بن وسيم وأبو خليل صال وأبو المنيب محمد بن يانس**⁴ ، بالإضافة إلى الشاعر والمحدث الشهير "**أبو عبد الرحمان بكر بن حماد (ت296هـ)** سمع بإفريقية من سحنون"⁵، وقد أورد صاحب كتاب معالم الايمان اسمه الكامل وهو **عبد الرحمان بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التاهرتي** ، ويضيف إلى أنه بالإضافة إلى سماعه من سحنون بن سعيد أنه سمع من عون بن يوسف فيقول " سمع من سحنون بن سعيد وعون بن يوسف ثم رحل إلى البصرة سنة سبع عشرة ومائتين ، فلقى بها **مسدد بن مسرهد** ، **وعمر بن مرزوق** وجماعة من العلماء"⁶.

¹ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص127.

² - أبو زكرياء : المصدر السابق ، ص141.

³ - محمد علي : المرجع السابق ، ص312.

⁴ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص127.

⁵ - أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم ، ج2 ، ط2 ، تحق بشير البكوش ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1994م ، ص21.

⁶ - **مسدد بن مسرهد** : محدث بصري توفي سنة 228هـ ، **عمر بن مرزوق** : حافظ بصري توفي سنة 224هـ . أنظر : أبو زيد عبد الرحمن بن هاشم الأنصاري المعروف بالدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج2 ، تكملة وتبع أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التتوخي ، تح محمد الأحمد ومحمد ماضي ، نشر مكتبة الخانجي ، مصر والمكتبة العتيقة ، تونس ، ص281.

وقد أخذ عنه الحديث عدد من العلماء أمثال: قاسم بن أصبغ وعبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي ، وابنه عبد الرحمان وأبو سعيد بجيج بن خدّاش توزري¹ ، يقول عنه الدباغ "وكان ثقة عالما بالحديث ورجاله شاعرا فصيحاً"².

2-1-3 علم الفقه :

يعرفه ابن خلدون بقوله " الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة ، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه "³ .

لقد اعتنى الرستميون بهذا العلم فصنفوا فيه الكتب ، وظهر الكثير من الفقهاء سواء في تيهرت أو جبل نفوسة أو في الجريد⁴ وقد برز الكثير من الفقهاء ، فظهر الفقيه المفتي ، والفقيه القاضي ، والفقيه الضابط المدون لهذا العلم ومن هؤلاء الفقهاء نذكر: مسعود الأندلسي الذي كان رجلاً فاضلاً فقيهاً ، وأبا قدامة يزيد بن فندين اليفرنى ، وعمران بن مروان الأندلسي ، وأبو الموفق سعدوس بن عطية بن صالح الكتامي ، ومصعب بن سدمان ، وكان جميعهم مع الإمام عبد الوهاب في مقر حكمه عدا يزيد بن فندين الذي عارض الإمام وانقسم لأول مرة سنة 171هـ وأنشأ فرقة النكارية .

كان هذا عن الفقهاء في تيهرت، وكذلك كان الفقهاء كثيرون في جبل نفوسة⁵ ومنهم: "أبو زكرياء التكتوتي ، وأبو مرداس مهاصر رحمهما الله ، بلغا في العلوم النهاية .. إلا أن أبا مرداس ممن هرب ، وقنع بالخمول ..وأما أبو زكرياء ، فكان علماً لكل الفضائل ومعلماً لكل ناهل "⁶، ومنهم أيضاً "ابن مغطير النفوسي الجناوني وكان شيخاً فاضلاً فقيهاً مفتياً كان ممن أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم .. وكذلك منهم عمر بن يمكتن ساد أهل زمانه علماً وعملاً .. أول من علم القرآن بجبل نفوسة ... بمنزل يقال له ايفطمان⁷.

¹-ابراهيم بجاز : المرجع السابق ، ص309.

²- الدباغ : المصدر السابق ، ص281.

³- ابن خلدون : المصدر السابق ، ص466.

⁴- محمد عليلي : المرجع السابق ، ص345.

⁵-ابراهيم بجاز : المرجع السابق ، ص314.

⁶- الدرجيني : الطبقات ، ج2 ، ص291.

⁷- الشماخي : المصدر السابق ، 127-128.

، وغيرهم الكثير ، كما اعتنى الأئمة الرستميون أنفسهم بهذا العلم ، وبرعوا فيه منهم الإمام عبد الرحمن بن رستم ، وكذا الإمام عبد الوهاب وابنه الإمام أفلح .

ومن أهم المصنفات التي ألفت في هذا العلم نذكر :

- كتاب مسائل نفوسة الجبل : للإمام عبد الوهاب بن عبد الحمن بن رستم ، وهو عبارة عن مصنف فقهي فيه إجابات عن أسئلة النفوسيين .

- كتاب جوابات الإمام أفلح : وهو كتاب فقهي يحوي إجابات عن مسائل فقهية مختلفة تتعلق بالعبادات ، كالصلاة والصوم والزكاة والحج والمعاملات .

- وكتاب العمروسي : وهو كتاب في أصول الفقه لصاحبه ¹ "عمروس بن فتح المساكني بحر العلم الزاخر ... كان ضابطا حافظا محتاطا محافظا"².

2-2 العلوم العقلية:

يعرفها ابن خلدون بقوله " وأما العلوم العقلية التي هي طبيعة الانسان ، من حيث أنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة ، بل يوجه النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستتون في مداركها ومباحثها "³.

ومن العلوم التي عرفت رواجاً كبيراً في الدولة الرستمية نذكر :

2-2-1 علم الكلام (المناظرات):

لقد كان للفرق والمذاهب غير الاباضية في تيهرت دور أكثر أهمية من الفرق التي انبثقت من الاباضية الأم وكانت التجارة من أهم العوامل التي جلبت مختلف الأجناس والمذاهب إلى تيهرت لذلك سميت بـ "عراق المغرب" نتيجة لكثرة المذاهب الفكرية والفقهية والكلامية ⁴، فما هو علم الكلام ؟ ومن أهم علمائه؟.

يعرف ابن خلدون علم الكلام بقوله "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية ، بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين "⁵، وجد علم الكلام في تيهرت أرضية

¹ - محمد عليلي : المرجع السابق ، ص 345-346.

² - الشماخي : المصدر السابق ، ص 192.

³ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 519.

⁴ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 332-333.

⁵ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 479.

خصبة للنمو والتطور ، وذلك في ظل تنافس أصحاب الملل والمذاهب ، للدفاع عن مبادئهم ونشرها وما ساعدتهم على ذلك جو التسامح الذي رعاه الأئمة الرستميون ، إضافة إلى الانشقاقات التي عرفت بها الإباضية حول مسألة الإمامة ، والتي دفعت بالمعارضين إلى تقديم اجتهادات فقهية وفكرية تحولت إلى أراء كلامية وجدلية ، ومنها الانشقاق الأول بين الوهبية والنكارية اتباع يزيد بن فندين الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب ، فتحول الاختلاف إلى اختلاف في الآراء الاعتقادية ¹ .

كما كان لوجود الفرق والمذاهب الفقهية غير الإباضية من أحناف ومالكية ومعتزلة² وغيرهم دور في إثارة الجدل في مختلف المسائل ، وتشير معظم المصادر والمراجع الإباضية إلى أن أغلب المناظرات كانت مع الواسلية المعتزلة على الخصوص ³ .

وكانت أهم مسألة بحثها علم الكلام هي مسألة خلق القرآن ⁴ ، هذه المسألة التي أثارت جدلا في مختلف المناظرات وقال بها حتى الأئمة الرستميون أمثال : الإمام محمد بن أفلح والإمام أبو اليقظان ⁵ ، ومن العلماء الذين برزوا في هذا العلم نذكر: العلامة أبو عبيدة الأعرج يقول عنه الباروني "... غاية في العلم والعمل والورع والأدب " ⁶ ، وأيضا محمد بن بكر العربي الأصل الذي كان يرد على الفرق في مقالاتهم ، ويؤلف الكتب في الرد على المخالفين ، بالإضافة إلى مؤرخ الدولة ابن الصغير ⁷ ، وهو مؤرخ صاحب مجموعة أخبار تاريخية عن الأئمة الرستميون في تيهرت، له مؤلف يعتبر أقدم وثيقة وصلت إلينا عن إباضي شمال إفريقيا، ولم يكن شعوره عدائيا اتجاههم على الرغم من أنه على غير مذهبهم ⁸ وأشهر المتكلمين الإباضيين مهدي النفوسي الويفوي " المقوم في علم الجدل الذي له اليد العليا في البرهان والاستدلال القامع كل ملحد ومحيد" واشتهر

¹ - محمد عليلي : المرجع السابق ، ص404.

² - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص332.

³ - محمد عليلي : المرجع السابق ، ص405.

⁴ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص131.

⁵ - محمد عليلي : المرجع السابق ، ص405.

⁶ - الباروني : المصدر السابق ، ص70.

⁷ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص334.

⁸ - ثاديوس ليفتسكي : المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، ط1 ، تر ماهر جرار وريما جرار ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2000م ، ص148-149.

عنه أنه أحد من صد مكائد نفاث بن نصر¹، عرف ببراعته في فن المناظرة ، استطاع أن يقنع سبعين عالما ممن ساهم بأصل الخلاف في مذهب الإباضية² ، بالإضافة إلى المتكلم العظيم الشيخ عبد الله اللمطي...³ ، عاش في أواخر القرن 3هـ/9م، كان يناظر المعتزلة الواسلية وأهم موضوعات الجدل التي جمعتها بهم مناظرة عن المكان أو الحيز الذي يشغله الانسان وارتباطه بالزمان فقد سأله أحد المعتزلة "فقال هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه إلى مكان لست فيه فقلت لا ، فقال هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه إلى مكان لست فيه فقلت إذا شئت ، فقال خرجت منها يا بن اللمطي "وهذا دلالة على براعته في الجدل ، كما نجد من المتكلمين عبد الله بن يزيد الفزاري في ق 3هـ / 9م له كتاب في علم الكلام⁴ ، بالإضافة إلى أبو حفص عمرو بن فتح المساكني النفوسي .

وأهم المؤلفات في علم الكلام نذكر :

-كتاب "الرد على الروافض" لعبد الله بن زيد الفزاري وهذا الكتاب دلالة على وجود جدال مع الشيعة أيضا

-كتاب "أصول الدينونة الصافية" لأبوحفص بن عمرو بن فتح المساكني⁵. وكانت كل هذه المناظرات تتم في جو يسوده الملاطفة .

2-2-2 اللغة العربية والنحو:

احتضنت تيهرت عدة أقوام فتعددت اللغات ، غير أن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية للدولة ، فقد عمل الرستميون على نشرها في أوساط البربر⁶ ، ومن اسهامات الأئمة الرستميين في تعريب البربر هو إلقاء الخطب في المساجد باللغة العربية ، وتعريف

¹ - الشماخي : المصدر السابق ، ص.149

² - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص.131.

³ - الباروني : المصدر السابق ، ص.70.

⁴ - محمد علي : المرجع السابق ، ص.407.

⁵ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص.117.

⁶ - محمد علي : المرجع السابق ، ص.384.

مفردات اللغة بكل معانيها ودلالاتها ، هذا جعل علماء البربر يناظرون فقهاء العرب في قواعد الأصول والفقه وعلم الكلام¹.

ومن العلماء الذين كان لهم بيان وفصاحة ومعرفة بمفردات اللغة نذكر : **يهود بن قريش التيهري** الذي كان يتقن عدة لغات منها العربية والبربرية والعبرانية والفارسية والآرامية مما مكنه من البحث فيها على أساس المقارنة اللغوية في النحو التنظيري ترك كتابا مهما في هذا الباب يعتبر مرجعا مهما في علوم اللغة².

كما نجد الشيخ **أبو سهل الفارسي النفوسي** عاش في ق3هـ/9م يذكره الباروني ضمن الخطباء يقول عنه "الشيخ أبو سهل كان ترجمانا للإمام أفلح وله تأليف كثيرة باللغة البربرية وكان مترجما أيضا للإمام يوسف"³ ، وهو من حفدة ميمون بن عبد الوهاب ، كان أفصح أهل زمانه في اللسان البربري له تأليف فيها ضاعت في بعض الفتن⁴.

أما عن النحو فيقول الدكتور بحاز أن هذا النوع من العلوم لم نجد فيه إلا القليل من المؤلفين ، كون العاصمة تيهرت كان بها سكان البربر الذين كانوا بحاجة إلى تعلم اللغة العربية ، دون التطرق للنحو أو القواعد ، ومن بين المهتمين بالنحو **أبو عبيدة الأعرج** الذي كان عالما بالفقه والوثائق والنحو واللغة⁵.

وأهم المؤلفات في اللغة والنحو نذكر:

-أقدم كتاب إباضي بالبربرية يعود إلى **المهدي النفوسي** بالإضافة إلى **كتاب يهود بن قريش " النفيس"** ، والذي يعد مرجعا مهما في علوم اللغة وكذلك كتب **محمد المكفوف النحوي** في اللغة والعروض⁶.

2-2-3 الأدب العربي: لم تبرز الدولة الرستمية في الحياة الأدبية مقارنة بالعلوم الدينية وذلك لاهتمامهم بتشجيع العلوم الدينية على حساب غيرها ، باستثناء الإمام أبي بكر بن الأفلح الذي كان محبا للأدب والأشعار¹ ومن ألوان الأدب نجد:

¹-سومية قرواش : المرجع السابق ، ص133.

²ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص354-355.

³- الباروني : المصدر السابق ، ص68.

⁴- محمد بن رمضان شاوش : المرجع السابق ، ص38.

⁵-ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص335.

⁶-سومية قرواش : المرجع السابق ، ص118.

-الشعر: كان الشعر هو اللون الأدبي الغالب ، إذ أن المصادر والمراجع الاباضية ، تنقل لنا الكثير من الشعراء الذين اشتهروا في هذه الفترة ، وفي طليعتهم الأمراء ، وقد تعددت أغراض الشعر من مدح وفخر وزهد ورثاء ووصف وغيرها ² ، ومن الأئمة الذين نبغوا في هذا العلم نجد:الإمام أفلح بن عبد الوهاب الذي كان له قصيدة يشيد فيها بفضائل العلم من أبياتها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا وليلهم بشموس العلم قد نارا
يحي به ذكرهم طول الزمان وقد يريك أشخاصهم روحا وأبكارا
حي وإن مات ذو علم وذو ورع إن كان في منهج الأبرار مامارا³
ومن الشعراء أيضا سعيد بن واشكل التيهري نشأ وعاش في تيهرت في 3هـ / 9م له قصيدة يقول فيها:

نأى النوم عيني واضمحلت عرى الصبر وأصبحت عن دار الأحبة في أسر
وأصبحت من تاهرت في دار معزل وأسلمني مر القضاء من القدر .
كما نجد الشاعر أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمان التيهري المعروف بالبزاز وابراهيم بن علي المعروف بابن الهرمة وكذلك أحمد بن فتح بن الخزار التاهري⁴ ، بالإضافة إلى الشاعر الكبير بكر بن حماد التيهري ومن شعره في وصف برد تيهرت التي عاش في أحضانها يقول :

ما أخشن البرد وريعانه و أطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت تجري بنا الريح على السم⁵

-النثر : تمثل في مجموعة من الخطب والوصايا والرسائل الديوانية ، ولقد امتازت هذه الرسائل بأسلوب بسيط ، وبإيجاز العبارة وصحة الألفاظ والتسلسل المنطقي ، وهذا يعكس مدى قدرة الأئمة البلاغية⁶ ، ولعل أشهر الرسائل الديوانية رسالة الإمام عبد الوهاب إلى

¹-ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص353-354.

²-محمد عليلي : المرجع السابق ، ص358.

³-الباروني : المصدر السابق ، ص190.

⁴-سومية قرواش : المرجع السابق ، ص136-137.

⁵- ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 364-365 .

⁶-ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص359-360.

جبل نفوسة في مسألة خلف بن سمح ، وكذلك رسالة الإمام أفلح التي ينصح فيها الرعية بالتقوى والصلاح ، وكذلك رسالته إلى نفاث بن نصر ، ولأشك أن هذه الرسائل بالإضافة إلى قيمتها التاريخية ، فإنها من الناحية الأدبية تعبر عن الأسلوب الأدبي الجميل ¹.
بالإضافة إلى هذا النوع نجد الرسائل الإخوانية التي وجدت بين العلماء والإخوان والأصدقاء والرسائل الديوانية ، التي اهتمت بالشؤون العامة للدولة الرستمية ، وما حدث فيها من أحداث وفتن وتميزت هذه الرسائل بالايجاز وصحة الألفاظ والتسلسل وبساطة الخطب ².

2-2-4 علم التاريخ :

إن الكتب التي ألّفت في هذه الفترة لم يكن يطلق عليها كتب التاريخ ، وإنما هي عبارة عن كتب السير والتراجم والمغازي والطبقات ومن المهتمين بالتاريخ من الأئمة الرستميين الإمام أبي بكر ³ ، كما يذكر تاديوس ليفيتسكي في كتابه "المؤرخون الإباضيون " عبد العزيز بن الأوز الذي عاش في عهد الإمام أفلح ، وكذلك الإمام عبد الرحمن بن رستم وابنه عبد الوهاب وأحمد بن بشير ، الذي عاش في عهد الإمام أبي اليقظان ، وكذلك المؤرخ ابن الصغير وابن سلام بن عمر الذي كان حيا في 240هـ وغيرهم الكثير ⁴

من المؤلفات التاريخية نذكر :

-كتاب " شرائع الدين" للواب بن سلام بن عمرو ، أتى فيه على ذكر سيرة الخلفاء الراشدين وأئمة الإباضية الأوائل ، وتناول دخول الاسلام إلى جبل نفوسة ، واستقى معلوماته عن أبي صالح النفوسي الذي لقيه في توزر بتونس.
-كتاب " أخبار الأئمة الرستميين " لابن الصغير استقى معلوماته عن طريق المشاهدات وكذا الروايات الشفوية ⁵.

¹ - محمد عليلي : المرجع السابق ، ص380.

² - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص139.

³ -ابراهيم بجاز : المرجع السابق ، ص367.

⁴ - تاديوس ليفيتسكي : المرجع السابق ، ص150،148،144،36.

⁵ - محمد عليلي :المرجع السابق ، ص391.

2-2-5 علم الطب :

يعرفه ابن خلدون بقوله "ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب ، وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء الممرض بالأدوية والأغذية"¹ لا تعطينا المصادر والمراجع التاريخية إلا معلومات قليلة جدا عن الطب والأطباء خلال هذه الفترة وبالتحديد في الدولة الرستمية² لقد كانت الدولة الرستمية مدركة لأهمية هذا العلم حيث يذكر بن الصغير أن الأطباء في تيهرت ، كانوا من اليهود والنصارى وكان لهم درب في الرهادنة³، ومن الذين أتقنوا هذا العلم وقدموا له العناية أحد أحفاد عبد الرحمن بن رستم محمد بن سعيد وقد زاول مهنة الطب في الأندلس، ولم تذكر المصادر دوره في تيهرت⁴.

2-2-6 علم الحساب والفلك والتنجيم (علم الهيئة):

2-2-6-1 علم الحساب :

يقول عن هذا العلم ابن خلدون " وهذه الصناعة الحسابية حادثة احتيج إليها للحسبان في المعاملات...ومن أحسن التعليم الابتداء بها لأنها معارف متضحة وبراهينها منتظمة"⁵، عرف هذا العلم شأنًا كبيرًا في العهد الرستمي ، فقد اهتم به الأئمة وعملوا على نشره وذلك لعدة أسباب منها:

-النشاط التجاري وما يحتاجه إلى عملية العد في المعاملات التجارية وكذلك علاقته بالفروض الدينية وخاصة فرع المواريث.

¹ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص536.

² - محمد علي : المرجع السابق ، ص416.

³ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص143.

⁴ - ابراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص374.

⁵ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص524.

-تنظيم بيت المال من حيث الميزانية وإحصاء الفئات الفقيرة ، ومتطلباتهم بالإضافة إلى حساب الغبار¹ (الأرقام الغبارية)² ، وهذا العلم كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بعلم الفلك، وممن برعوا في هذا العلم الأسرة الرستمية ، فقد كان بيت الرستميين على حد قول أبي زكرياء " بيت العلم في فنونه من الأصول والفقه والتفسير...وعلم النحو والإعراب والفصاحة وعلم النجوم " ويضيف " وبلغنا أن عبد الوهاب سمر ذات ليلة هو وأخوه ، يتعلمان مسائل الفرائض ، فلم يصبح عليهما إلا وهما يورثان أهل المشرق والمغرب "³.

2-2-6-2 علم الفلك :

يعرفه ابن خلدون بقوله " وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة ، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك... "⁴، إن اهتمام الرستميين بهذا العلم كان بقدر اهتمامهم بالحساب لارتباطهما ببعضهما وكان ذلك لعدة أسباب نذكر منها :

-يساعد رصد النجوم على الاهتداء إلى الطرق الخاصة بالقوافل التي تسير ليلا، كما يساعد في الفروض الدينية المتعلقة برؤية القمر⁵ ، وهذا العلم إلى جانب علم الحساب توارثه أفراد الأسرة الرستمية، ويعتبر علم النجوم ومواقعها وحساب الأمور قبل حدوثها ليس من الكهانة، وهو يقوم على قواعد علمية دقيقة وعلى براعة في الحساب، ولا يستطيعه إلا العلماء الأعلام⁶، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون في قوله "...وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور أنها تعطي صورة السماوات وترتيب الأفلاك والكواكب بالحقيقة... "⁷.

¹ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص 145-146.

² - سميت بهذا الاسم لأن أهل الهند كانوا يأخذون غبارا لطيفا ويبسطونه على لوح خشب، أو غيره ويرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون إليها، وهي الأرقام المستعملة اليوم في المغرب العربي. أنظر : إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 374.

³ - أبو زكرياء : المصدر السابق ، ص 99.

⁴ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 529.

⁵ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص 144.

⁶ - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص 256.

⁷ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 529.

وقد برع كل الأئمة فيه وخاصة الإمام أفلح وأخته حيث يقول أبي زكرياء "... وذكرنا عنه أنه قد ذات ليلة هو وأخته فقال لها ، هلم نحسب ماذا يذبح في السوق غدا أولا إن شاء الله "1، وذات الرواية أوردتها الباروني حيث قال "...فحسب هو فقال أول ما يذبح بقرة صفراء في بطنها عجل أغر فضبطت هي الحساب وقالت له صدق حسابك في البقرة ولونها والعجل وأخطأ في الغرة فإن العجل لا غرة له وذلك البياض ... هو في رأس ذنب العجل وقد التوى حتى صار على جبهته "2، وفي الصباح أمر أن يعرضوا عليه أول ما يذبح فإذا هو كما قالت أخته بدون خلاف ، وقيل أنه لم يكن من البيت الرستمي من لا يفقه في هذا العلم وفي هذا يقول أبي زكرياء "وبلغنا أن بعضهم قال : معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر "3 .

3- مكانة المرأة الرستمية العلمية :

كانت المرأة الرستمية تعتنى بتثقيف نفسها فكانت النساء يحضرن الدروس في المساجد بعد أن يصلين جماعة ، وكانت تتلقى التربية الأولى في البيوت الصالحة الراقية ، وفي مدارسهن الرشيدة ، وبهذه الدروس كانت صالحة ومتقفة العقل ، يتغلب عليها دينها وعقلها لا غرائزها و أهواؤها 4، إن اهتمام الرستميين بنشر العلم والتشجيع على طلبه ، لم يكن قاصرا على الرجال دون النساء ، فكثيرا منهن بلغن منزلة كبيرة في العلم عامة وفي الفقه خاصة ، ومنهن من كانت في نفس مكانة الرجال في التضلع في الفقه والعلوم الشرعية الأخرى نذكر منهن: أم الربيع الوريورية 250هـ/912م . : امرأة فاضلة اشتهرت بالعلم والكرم ، كانت لديها ثروة طائلة أنفقت جلها في سبيل العلم وكان المشايخ يستطيعون الإقامة عندها ، والاجتماع لديها للمشاورة والمناقشة العلمية 5، كما كانت أخت الامام أفلح بن عبد الوهاب عالمة بالحساب والفلك والتنجيم كما سبق وذكرنا ، كما كانت عالمة مارن إحدى العالمات بدقائق المذهب الإباضي في جبل نفوسة 6.

1- أبو زكرياء : المصدر السابق ، ص136.

2- الباروني : المصدر السابق ، ص 194..

3- أبو زكرياء : المصدر السابق ، ص99.

4- محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص359.

5- فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص296.

6- محمد عيسى الحريري : المرجع السابق ، ص238.

كما اهتم الرستميون بتعليم العبيد والإماء ، فقد ذكر أن إماء نفوسة كانوا إذا وردنا أو خرجن إلى الحطب في البساتين لا يرجعن حتى يتذاكرن جميع مسائل كتاب **ماطوس** وهو كتاب في الشريعة¹ ، وقد كان العلم عاملاً مساعداً في عتق الخدم والإماء ، ومثال ذلك الأمة السودانية التي تدعى **غزالة** التي كانت تخدم مولاهما ، وبعد نومهم تذهب لتحضر مجلس الذكر عند **أبي محمد عبد الله بن الخير** ، ومن الشاعرات نذكر **زيديت الملوشية** ، وهي شاعرة يقال أن شعرها نظمته باللهجة البربرية ، لكن لم يوجد له أثر².

كما فتحت المرأة في هذه الدولة بيتها للعلماء لعقد مجالسهم العلمية كفعل **بهلولة** إحدى نساء نفوسة مع **أبي ذر إبان بن وسيم الويغري** ، وقد وصفت بالصالح والتفقه في الدين وقد تزوجها فيما بعد ، فبمجرد فتح بيت للشيخ لإلقاء دروسه تعبير عن المستوى الفكري الرفيع الذي بلغته المرأة الرستمية ، بالإضافة إلى هؤلاء نجد أيضاً **أخت عمرو بن الفتح** قاضي جبل نفوسة ، والتي كانت مثالا للمرأة ودورها الثقافي ، فقد كانت المساعد الأساسي لأخيها في استتساخ مدونة **أبي غانم بشر بن غانم الخراساني** حيث كانت تملي عليه ، وقد كانت فقيهة عالمة أفنت لنساء وقعن في أسر الأغلبة في وقعة مانو بما يحفظ لهن دينهن وشرفهن وكانت من بين الأسيرات³.

كل هذا كان نتيجة اعتناء الدولة الرستمية بتثقيف وتعليم المرأة، لأنها أساس المجتمع والدولة فإذا صلحت صلح المجتمع، كل هذا جعلها زوجة صالحة وأما كريمة وأساساً لدولة عظيمة، فكانت تعرف دينها وتتخلق بأخلاقه، فبرزت بذلك في كل المجالات مثلها مثل الرجل.

¹ - محمد علي دبور : المرجع السابق ، ص 337.

² - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص 295-296.

³ - إبراهيم بحاز : المرجع السابق ، ص 379-380.

الفصل الثالث

مراحل التعليم وطرق إلقاء الدرس

- 1- مراحل التعليم في العهد الرستمي
 - 1-1 مرحلة التعليم الابتدائي
 - 2-1 مرحلة التعليم الثانوي (المتوسط)
 - 3-1 مرحلة التعليم العالي
- 2- طرق إلقاء الدرس
 - 1-2 طريقة التلقين والحفظ (التكرار)
 - 2-2 طرق التعليم في المراحل العالية
- 3- نظام التعليم الإبااضي بعد سقوط الدولة الرستمية
 - 1-3 نظام العزابة (الحلقة)
 - 2-3 القائمين على نظام العزابة (هيئة العزابة)
 - 3-3 شروط الانتساب إلى العزابة

لقد اعتنى الرستميون بالتعليم وطرقه ، فوفروا له كل الوسائل اللازمة للرقى به ، ومن ذلك اهتمامهم بالعلماء ، هذه الفئة التي أسهمت في تثقيف المجتمع الرستمي فلم يستثنى في ذلك صبياننا ولا كبارا ولا نساء أو رجالا ، وقد كان على مراحل ووفق مناهج معينة ، فما هي مراحل التعليم في هذا العهد ؟ وهل كانت له طرق ومناهج خاصة ؟ وما هي أهم الوسائل التي وفرت له ؟.

1- مراحل التعليم في العهد الرستمي :

من خلال الإطلاع على المصادر والمراجع التي تناولت التعليم في هذه الفترة نجد أن مراحل التعليم بالمغرب الأوسط لا تختلف عن غيرها في المشرق الاسلامي ، باعتبار أن المغرب الأوسط كان تابعا للمشرق في العهود السابقة للفترة الرستمية ، كما أن طرقه ومناهجه لا تختلف عن غيرها إلا في بعض الأمور الطفيفة ، وذلك نتيجة اختلاف التركيبة الاجتماعية للمغرب ، فحسن اختيار الطرق المناسبة يزيد الانسان تنورا فكريا ، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون "فحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية ، تزيد الانسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس"¹ .

أما عن مراحل التعليم في العهد الرستمي فيمكن إيرادها كما يلي:

1-1 مرحلة التعليم الابتدائي :

يزعم البعض ممن لا خبرة له بالتاريخ الاسلامي أن التعليم الابتدائي كان مهملا ولا وقع له فيما مضى من العصور العربية الأولى ، وهي دعوة عارية من الصحة تنبئ بجهل القائلين بها ، وإهمالهم البحث عن أصول التمدن العربي ، وما كان لها من الأسس المتينة والأنظمة المركوزة على قواعد ثابتة²، إن هذا التعليم خاص بالصبيان الذين لم يبلغوا الحلم بعد ، وهي من المراحل الثابتة في حضارات الأمم ، يشاد عليها بنيان الثقافة في الأمة فيما بعد، ويظل تعليم الصبيان هو الدعامة الثابتة التي لا تتحول والأساس الذي

¹ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص454.

² - محمد بن سحنون : المصدر السابق ، ص31.

لا يتعدّل¹، كدليل على وجود هذه المرحلة في الحضارة الإسلامية أنه كل من نقب - ولو يسيراً - عن الحضارة الإسلامية يعلم علم اليقين أن ما تركه فطاحل تلك الحضارة من المؤلفات ، في سائر العلوم وضروب الفنون ، إنما هو أثر واضح من آثار التعليم الابتدائي ثم العالي عند أجدادنا²

ومراحل التعليم عند المسلمين تغيرت مع تغير الحضارة الإسلامية ، واختلاف العصور وتقدم الدول وتأخرها ، ويمكن ذكرها إجمالاً ، حيث يعتبر تعليم الصبيان اللبنة الأولى ، وكان مرحلة تبتدئ بالكتاب أو المعلمين الخاصين ، وتنتهي بأن تكون حلقة بالمسجد³ ، كانت الدولة الرستمية تعتقد أن التعليم الابتدائي هو الذي يصبغ الناشئ بالصبغة الدائمة ، ويؤثر في شخصيته التأثير الذي لا يزول ، ومعلم هذه المرحلة هو القالب الذي يصب فيه التلميذ ، فيشكل شخصيته ويكيفها مع البيئة المنزلية الوراثة⁴.

تعتبر الكتاتيب اللبنة الأولى في التعليم في المغرب ، وهو من أشهر أنواع التعليم الابتدائي ، فكان الصبية يتلقون دروساً دينية بحتة ، وهذا دليل على أن نوع التعليم هو تعليم ديني بالدرجة الأولى ، بالإضافة إلى تعلمهم لمبادئ اللغة العربية ، وحفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وعن فضل تعليم القرآن للصبية يقول ابن خلدون " اعلم: أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين ، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم ... وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات ... وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده"⁵

كما نجد نموذجاً لهذه المرحلة في جبل نفوسة ، كما هو في باقي مناطق الدولة الرستمية ، وهي المرحلة الأساسية والأولى للتلاميذ ، وقد حرص الآباء في ذلك العهد على أن يبدأ أولادهم التعليم في سن مبكرة كما يقول الشاعر:

¹ - أحمد فؤاد الأهواني : التربية في الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، 1968م ، ص 62.

² - ابن سحنون : المصدر السابق ، ص 31.

³ - أحمد فؤاد الأهواني : المرجع السابق ، ص 62.

⁴ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص 67.

⁵ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 610.

علم بنيك صغارا قبل كبرتهم إذ ليس ينفع بعد الكبيرة الأدب .

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب.

وتتراوح أعمار التلاميذ في هذه المرحلة غالبا بين الخامسة والخامسة عشرة ، وهي مرحلة الصبا ، ويطلق على أستاذها معلم الصبيان ، وكان أهالي جبل نفوسة يحرصون على تعليم أبنائهم القرآن منذ الصغر ليتربوا على تعاليمه ويتخلقوا بأخلاقه¹.

وقد اختلفت المصادر والمراجع في ذكر المواد المدرسة في هذه المرحلة ، فهناك من يقول بأنه أقتصرت فيها على تعليم القرآن الكريم ، وهناك من يضيف مواد أخرى ، فهذا ابن خلدون يقول "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن الكريم فقط...ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب"² ، أما صاحب كتاب آداب المعلمين فجعلها على قسمين إجباري واختياري ، أما ما فرض تعليمه وجوبا فالقرآن الكريم مع إعرابه ورسومه بالشكل ، واتقاء الهجاء والقراءة الحسنة من توقيف وترتيل ، أما الاختياري فهي الفنون التي استحسن ابن سحنون تعليمها للصبيان في الكتاب منها : الحساب وأخبار العرب وأنسابهم والنحو والخط والخطابة³ ، أما الاستاذ دبوز فيذهب إلى القول بأن المدارس الابتدائية كما يسميها موصولة بكل مسجد ، فتعلم الصبيان القراءة والكتابة ومبادئ العربية وتحفظهم القرآن والحديث ، وتعلمهم ما لا يسمح جهله من الشريعة الإسلامية ، كما تعلم تلاميذها مبادئ الحساب والتاريخ سيما تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، وأئمة عصرهم ، بالإضافة إلى تاريخ وطنهم وأجدادهم⁴، ولقد تكلمت العديد من المصادر والمراجع عن شروط المعلم والمربي وكذا شروط المتعلم.

¹ - محمود حسين كوردي : المرجع السابق ، ص 84-85.

² - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 610.

³ - ابن سحنون : المصدر السابق ، ص 42-45.

⁴ - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص 329.

1-1-1 شروط المعلم والمربي في المرحلة الابتدائية:

عني العرب في العهد الاسلامي بالمدرسين عناية كبرى، واهتموا بتلقي العلم عن المدرسين اهتماما ملحوظا وكرهوا كراهة شديدة أن يتلقى الطالب العلم عن الكتب وحدها.¹

ومن بين شروط ووظائف المعلمين الذين هم مثال الورع والتقوى فلا يتولى التعليم والتربية في المدارس الابتدائية إلا من استوفى هذه الشروط ومنها: -التقوى والإخلاص والصفاء.

-الاستقامة في السلوك والعلم وحبه وقوة الشخصية التي تؤثر في التلميذ² ، ويضيف ابن سحنون أن من واجبات المعلم أن يتخلى عن كل شيء من أجل التعليم ، وأن لا يشتغل بغير صناعته وأن يعمر أوقات فراغه بالنظر فيما يعود على تلاميذه بالنفع ، والفائدة في تعليمهم ومراقبة غدوهم ورواحهم وإعلام أوليائهم عن مغيبهم بلا عذر³ .

- أن يكون تعليمه لوجه الله تعالى وأن يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم ، كما لا ينبغي أن يخالف قوله فعله ، وأن يكظم غيظه عند التعليم ولا يخلطه بهزل ويستعمل الحلم والوقار والرفق⁴ .

1-1-2 شروط المتعلم: أما عن الشروط الواجب توفرها في المتعلم فهي كثيرة تخص الصبيان والكبار ومنها:

-تزكية النفس عن رذائل الأخلاق وتحصيل الاخلاص ، تقليل العلائق الدنيوية الصارفة على العلم والشاغلة للقلوب ، ترك الكسل وإيثار السهر في الليالي.

¹-عبد الله عبد الدائم : المرجع السابق ، ص165.

²-محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص329.

³-ابن سحنون : المصدر السابق ، ص49.

⁴- أحمد بن مصطفى:مفتاح السيادة ومصباح السعادة في موضوعات العلوم،مج،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص198.

-أن لا يدع المتعلم فنا من فنون العلم ونوعا من أنواعه إلا وينظر فيه ، وكذا مذاكرة الأقران ومناظرتهم..الخ.¹

1-2 مرحلة التعليم الثانوي (المتوسط) :

إذا استوفى التلميذ المراحل الابتدائية في التعليم ، وأراد الازدياد في العلم والتخصص في أحد فنونه ، وجد مساجد تيهرت والمدن الكبيرة في الدولة مدارس ثانوية ، سيما في مساجد تيهرت ومدينة شروس في الجبل.² فبعد اجتياز الصبي للمرحلة الابتدائية بنجاح يبدأ في المرحلة المتوسطة ، وليس هناك سن محددة لولوجها ، وإنما هي مفتوحة للجميع ويتم فيها التعليم بمختلف المساجد ، وغالبا ما تكون الدراسة في فترات المساء ، وبرنامج الدراسة يقتصر على الكتب المبسطة في اللغة والنحو والفقه والحديث والمنطق وغيرها ³ .

وكان يربط في المساجد العلماء الفحول ، فيلقون على تلاميذهم مختلف الدروس ، والمحاضرات من ثانوية وعالية ، على حسب مستوى التلاميذ الذين يتلقون عنهم والطلبة الذين يؤمون حلقتهم ⁴ ، وأما المواد التي تدرس في هذه المرحلة فهي : العقيدة والفروع والأدب ، وهنا يعتمد طالب العلم على الكتب أيضا ⁵ .

1-3 مرحلة التعليم العالي :

هنالك الكثير من المؤرخين من يقوم بضم هذه المرحلة للتعليم الثانوي ، فيكون بذلك مرحلتين فقط وهما التعليم الابتدائي ثم يليها التعليم الثانوي والعالي ، تعد هذه المرحلة أعلى مراحل التعليم ، ولم تكن هنالك سن معينة لدخولها أيضا ، وغالبا ما يصل إليها الطلاب الأذكياء والراغبون في مواصلة تعليمهم ، وهي غير محددة بسنوات للدراسة ، فمثلا ابن معبد الجناوني (ق3هـ/9م) مكث يتعلم عشرين سنة ، والملاحظ أن فترات

¹ - أحمد بن مصطفى : المرجع نفسه ، ص17-35.

² - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص330.

³ - محمد حسين كوردي : المرجع السابق ، ص85.

⁴ - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص330.

⁵ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص252.

الدراسة في هذه المرحلة تطول سنين عديدة ، وذلك راجع إلى نوعية العلوم والتخصصات العلمية¹ .

يتم التعليم في هذه المرحلة في المساجد أو الجوامع ، وهي تشمل التجرب في علوم التفسير والفروع وعلم اللسان والنجوم² ، ومن ضمن العلوم التي تدرس أيضا أصول الدين وعلم الكلام والمناظرة والمنطق³ ، بالإضافة إلى العلوم الرياضية ، وعلم الطب وكذا الكيمياء وتركيب العقاقير والأصباغ وإن كانت هذه الأخيرة تتم في أماكن خاصة لها في المدن⁴ .

كان التعليم مجانا مباحا للذكور والإناث ، تلقى الدروس في حلقات بالمساجد في إطار منظم ودقيق ، وتراعى فيه قواعد التعليم سواء من حيث السيرة أو الحضور أو اللباس ، والمتابعة تكون من قبل الشيوخ هؤلاء الذين يسهرون على احترام أوقات الدراسة ، وكيفية السؤال وآدابه والثواب والعقاب⁵ .

ومن الملاحظ أن الدولة الرستمية كانت تعتني بالعلماء والمعلمين فتضفي عليهم من المال ما يكفيهم ، ويضمن لهم ولأسرهم الحياة العزيزة الكريمة لإعطاء النفس للعلم ، وما يمكنهم من الرحلة إلى الأقطار للإزدياد في المعرفة ، ويكفيهم لشراء الكتب⁶ .

2- طرق إلقاء الدرس

كان لكل مرحلة من مراحل التعليم طريقة ومنهج يعتمد عليه المعلمون في إلقاء الدروس على المتعلمين وقد تشتمل المرحلة الواحدة على عدة طرق فما هي أهم هذه الطرق ؟

¹ -محمود حسين كوردي : المرجع السابق ، ص86.

² - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص253.

³ -محمود حسين كوردي : المرجع السابق ، ص86.

⁴ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص63.

⁵ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص253.

⁶ - محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص330.

2-1 طريقة التلقين والحفظ(التكرار):

إن عملية التعليم والتعلم هي عملية مستمرة دون توقف ، وبدايتها كانت الدعوة الإسلامية عامة ، ثم تلقينا للقرآن الكريم حفظاً لأداء الشعائر كالصلاة ، أو من أجل حفظ كتاب الله وتلاوته، وذلك في المساجد بالنسبة للكبار والكتاتيب بالنسبة للصغار ¹ .

إن طريقة المسلمين في التعليم ، كانت تعتمد إجمالاً على التلقين والحفظ لاسيما في تعليم القرآن ، وكان الحفظ من أهم شروط العلم عندهم ، وربما كان ذلك راجع إلى حاجتهم إلى الاعتماد على الذاكرة أكثر من الاعتماد على الكتابة ، وكانوا يفخرون بالعلم الذي حوته الصدور لا بالعلم الذي حوته السطور ، ورأى البعض البدء بالحفظ قبل الفهم فكان يقال: أول العلم الصمت والثاني الاستماع والثالث الحفظ والرابع العقل والخامس النشر ² .

وقد كانت طريقة التكرار والترديد وراء الشيخ هي الطريقة المعتمدة في الكتاتيب لتعليم الصبية القرآن ³ في العهد الرستمي ولعل هذه الطريقة مازالت متداولة إلى حد الآن في الكتاتيب ، وبنفس الوتيرة بالنسبة للصبية ، وكان يعتمد في تلقين الدروس على لوح من خشب ، بحيث يكتب على الألواح القرآن بواسطة الدواة ⁴ ، فإذا تمت عملية الحفظ يتم محو ما في اللوح ، واستعملت هذه الطريقة طوال الفترة الوسيطية ، كما استخدموا المحابر مثلما فعل عمرو بن الفتح عندما نسخ مدونة أبي غانم الخراساني ⁵ .

وحسب بعض المصادر الإباضية أن أول من علم القرآن بجبل نفوسة هو عمر بن يمتكن ، ويعتبر هو المعلم الأول بالجبل وكان يسلك طريقة الكتابة على اللوح التي ذكرناها سابقاً والتي كانت متبعة في جميع الكتاتيب بالدولة الرستمية ⁶ ، وكانت هذه

¹ - إبراهيم بحاز : التعليم في المغرب الأوسط خلال القرون الثلاث الهجرية الأولى (7-9م) ، 2010م

.www .amazigh world.

² - عبد الله عبد الدائم : المرجع السابق ، ص185.

³ - إبراهيم بحاز : لتعليم في بلاد المغرب الأوسط ، ص276.

⁴ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص250.

⁵ - سومية قرواش : المرجع السابق ، ص60.

⁶ - إبراهيم بحاز : الدولة الرستمية ، ص278.

الطريقة إما فردية أو جماعية ، إذ يبدأ المعلم بآية يرددها الصبيان من بعده ، ولكل صبي لوح يكتب فيه ، يثبت فيه ما يريد أن يحفظه ولم يكن من اللازم أن يحفظ الصبي القرآن كله ، إلا إذا كانت تلك رغبة أبيه ¹ ولقد انتقد القابسي طريقة الحفظ الجماعية في تعليم القرآن ، فيلاحظ أنه لا يكفي عند مراجعة القرآن أن ينصت التلميذ بصفة سلبية ، فعلى المعلم أن يراقب عن كثب تلاوة النص والنطق به نطقا صحيحا واضحا ، فإذا كان التلاميذ يتدارسون القرآن بصوت جماعي ، قد يجد المعلم نفسه ملزما بالعدول عن الطريقة الفردية ، فيلتجئ إلى الطريقة الجماعية إذا كان عدد الأطفال مرتفعا ، فينبغي على المعلم أن ينظر في ماهو أصلح لتعلمهم فيأمرهم به ، لأن اجتماعهم في القراءة بحضرته يخفي عنه قوي الحفظ من الضعيف ² .

وإذا أخطأ الصبي في الكتابة والهجاء والحفظ ، أو أهمل أو انصرف إلى اللعب والعبث دون الدرس والعلم ، أو هرب من الكتاب ، عاقبه المعلم بالنصح تارة والعزل والتهديد مرة أخرى ، والضرب تارة ثالثة إن لم تفلح الطرق السابقة ³ .

يقول القابسي بأن ابن الجزار القيرواني يعلل اختلاف أساليب التأديب وطرقه إلى الترهيب واللجوء حتى إلى الضرب لاختلاف طبائع الصغار ⁴ ، ويقول ابن خلدون " أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم ، وذلك:أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم ، سيما أصاغر الولدان " ⁵ ، أما ابن سحنون فيقول "أن يكون المعلم مهيبا لافي عنف ، ولا يكون عبوسا مغضبا ، ولا مبسطا مرفقا بالصبيان دون لين .." ⁶ ، ويضيف ابن خلدون " لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا " ⁷ .

¹ - أحمد فؤاد الأهواني : المرجع السابق ، ص65.

² - أبو الحسن علي القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، در وتح وتع أحمد خالد ، ط1، الشركة التونسية للتوزيع ، 1986م، ص28.

³ - أحمد فؤاد الأهواني : المرجع السابق ، ص65.

⁴ - القابسي : المصدر السابق ، ص31.

⁵ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص613.

⁶ - ابن سحنون : المصدر السابق ، ص47.

⁷ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص613.

وقد شرع الاسلام العقوبة وبين أنواعها المختلفة واعتبرها وسيلة للتربية ، والغرض من العقاب لدى الصبيان هو الاصلاح والوعظ والزجر ، فهي وسائل تؤدي إلى غاية مطلوبة هي إصلاح المذنب وخير المجتمع ، فالطفل حدث صغير لا يعرف ما ينفعه ولا يميز ما يضره ، ولا يستطيع أن ينظر إلى مصلحته البعيدة في المستقبل ¹ .

هذا عن الطريقة المتبعة في التعليم الابتدائي فماذا عن الطريقة المتبعة في التعليم العالي في الدولة الرستمية .

2-2 طرق التعليم في المراحل العالية:

كانت هناك طريقتان وهما : حلقات التعليم والمناظرات

2-2-1 حلقات التعليم :

تلقى في المساجد على شكل مواعظ ودروس للعامة و الخاصة ، وهي تعتبر من أنجح الطرق لنشر تعاليم الدين وأكثرها تأثيرا محاولين من خلالها بث العلم ² ، وهناك بعض المصادر التي أشارت إلى هذه الطريقة مثل الباروني الذي ذكر بأن الإمام أفلح كان غزير العلم وأنه كان يتصدر للتدريس وإلقاء العلوم على اختلاف فنونها قبل أن يبلغ الحلم ، وكانت له أربع حلق وقيل سبعة ³ ، كما نجد إشارة إلى هذه الحلق في كتاب أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير في قوله عن الإمام أبي اليقظان " وكان إذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أدم مستقبلا الباب البحري ، وله سارية تعرف باسمه يجلس إليها ، ولم يكن غيره يجلس إليها في حلقاته " ⁴

تعتبر الحلقات العلمية من وسائل التعلم والتعليم ، حيث كان لبعض المشايخ حلقاتهم والتي تعقد في مختلف الأماكن ، في المساجد أو في منازل العلماء أو حتى في الساحات ، أو حلقات يجوب بها شيخها بصحبة طلابه في مختلف المدن والقرى خاصة في جبل

¹ - أحمد فؤاد الأهواني : المرجع السابق ، ص149.

² - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص89.

³ - الباروني : المصدر السابق ، ص194.

⁴ - ابن الصغير : المصدر السابق ، ص81.

نفوسة ، وكانت المجالس العلمية مفتوحة أمام الجنسين الرجال والنساء فكانت المرأة تشارك في المجالس العلمية بآرائها وأفكارها ، ومن أهم الحلقات كانت تعقد بجبل نفوسة حلقة الشيخ أبو ميمون بن أحمد الجيطالي (283هـ/896م) التي كانت لا تعرف الانقطاع أو الفتر ومجالس الشيخ أبو الشعثاء السنتوتي نسبة إلى قرية سنتوت بالجبل ، وكانت النساء تحضرن مجالسه ليلا ومعهن أولادهن ¹ .

كانت هذه الحلقات بمثابة مجمع علمي يحضره العلماء من مختلف الأقطار ، يتبادلون بينهم الأفكار والعلوم والمعارف ، وقد انتشرت المساجد في تيهرت الرسمية وكانت الجوامع تشتمل على حلق العلوم المختلفة ، فيجد الطلبة فيها كل ما يريدون لتخصص العلوم ، فكانت فيها العلوم الشرعية والعلوم العربية بالإضافة إلى العلوم الرياضية والطب والكيمياء ، وكان المسجد الجامع بتيهت بمثابة مدرسة إباضية استقطبت معتقلي هذا المذهب من كل مكان ² ، وتتنوع الحلقات وذلك لتعدد المذاهب والفرق ، فاصطبغت الحياة الفكرية في تيهت بصبغة المناظرة الفقهية والكلامية ³ .

2-2-2 المناظرات :

تعرف المناظرات في المعاجم العامة ، بأنها لغة: من النظر أو من النظر بالبصيرة ⁴ ، اصطلاحا : فيعرفها ابن خلدون بقوله " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية ، بالأدلة العقلية " ⁵ .

تعود البدايات الحقيقية للمناظرات العقيدية في تاريخ الفكر الاسلامي إلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ناظر الكفار والمشركين والمنافقين في العقيدة ⁶ ، لقد أفسح

¹ - محمود حسين كوردي : المرجع السابق ، ص 57، 82-83.

² -سومية قرواش : المرجع السابق ، ص64.

³ -ابراهيم بجاز : المرجع السابق ، ص64.

⁴ - آسيا الكونوني:مدخل إلى المناظرات الدينية بالغرب الاسلامي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية-

الرباط، ع23/2016 م ، ص60.

⁵ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص479.

⁶ - آسيا الكونوني : المرجع السابق ، ص60.

الرستميون المجال للفرق والمذاهب من غير الاباضية المجال فعقدت المناظرات وجلسات الجدل الطويلة والتي كان علماء الاباضية طرفا دائما فيها¹.

كانت أهم وأشهر المناظرات التي احتضنتها تيهرت ، تلك التي دارت مع المعتزلة حيث كان علماء الفريقين يلتقون بوادي مينة²، وقد كان لهذه المناظرات ايجابيات من خلال أنها أسهمت في ظهور مؤلفات اعتبرت ذخيرة علمية وأدبية للمؤسسات العلمية في ذلك العصر ، وفي عصرنا الحالي ، وكان يستعان في مناظرة المعتزلة الواسلية بقطاع في الفقه وعلم الكلام من النفوسيين³، تميزت هذه الطريقة بكثرة النقاش والأسئلة بين الطلاب والأساتذة ، وتكون في نهاية الدرس حتى لا يقاطع الأستاذ بالأسئلة⁴.

من النظرة الأولى يبدو لنا التعليم في هذه الحقبة من الزمن بسيطا بساطة المجتمع المغربي بعامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة ، وهذه البساطة يمكن تبريرها بوضعية العالم الاسلامي كله باستثناء مكة والمدينة ودمشق وبغداد والقيروان وقرطبة ، فما عداها يظهر لنا أن التعليم مبتدئ ، فلم يكن منظما ولا نظاميا وإنما تتحكم فيه رغبات الناس وميولهم ، بحسب اهتمامهم بالعلم وتلقيه أو تلقيه وإعطائه⁵.

3- نظام التعليم الإباضي بعد سقوط الدولة الرستمية

لقد كانت تيهرت زمن الرستميين هي مركز التعليم إذ استقطبت وفودا هائلة من المشايخ والطلبة إلى جانب جبل نفوسة ، ولما سقطت الدولة الرستمية ، صارت عدة مناطق قبلة للعلماء وهي: وارجلان وسلجماسة وقسطيلية وجربة وهي المناطق التي فر إليها الإباضية إذ لم تكن في متناول الفاطميين خاصة وارجلان وجربة⁶ ولعل نظام

¹ - محمد عيسى الحريري : المرجع لسابق ، ص236.

² - أنظر : ابن الصغير : المصدر السابق ، ص94.

³ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص256، 274.

⁴ - عبد الله عبد الدائم : المرجع السابق ، ص187.

⁵ - ابراهيم بحاز : التعليم في لمغرب الأوسط ، المرجع السابق .

⁶ - سامية مقري : التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة

(296هـ-409هـ/909م-1081م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري قسنطينة ،

2005-2006م ، ص52.

الحلقات الذي كان قائما في عهد الدولة الرستمية تحول إلى نظام آخر خاصة بعد سقوطها ، حيث تحولت الإباضية إلى مرحلة الكتمان ، واستحدثوا نظاما يعرف " بالعزابة " ¹ ، فما هو هذا النظام ؟ وكيف كان تنظيمه وسيرورة عمله ؟

3-1 نظام العزابة (الحلقة):

تعريفه لغة: يطلق على المفرد من أتباع هذا التنظيم عزابي الجمع عزابة من الأصل عزب ، والذي يوضح الفكرة الأساسية بالبعد أو الامتناع (العزوف) عن شيء ما ² ، وفي هذا يقول الدرجيني "واحدها عزابي ، هذه اللفظة استعملتها لقبا لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير، وحافظ عليها وعمل بها، فإن أحسن جميع هذه الصفات سمي عزابيا" ³.

ولا يشرح الشكل عزابي باللغة العربية الفصحى ، وإنما باللهجات المغربية فمن المرجح إذا أن المفرد عزابي هو اشتقاق عن الجمع المغربي عزابة فيكون المعنى حينئذ : من يمارس مهنة الاعتكاف ⁴.

اصطلاحا: هو نظام اجتماعي تربوي ديني روحي اشتهر في المغرب الاسلامي بعد سقوط الدولة الرستمية، وتفرغ الإباضية لبناء المجتمع وفق تعاليم الاسلام فأنشئوا نظام العزابة كبديل عن قيام الدولة الإباضية ⁵ ، أول من أسس هذا النظام هو محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرستائي النفوسي ⁶ ، يقول الدرجيني "... وأول ما استعمل هذا اللقب في أيام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر رضي الله عنه لما أسس الحلقة ورتب قوانينها

¹ - فطيمة مطهري : المرجع السابق ، ص254.

² - روبيرتو روبيناتشي : العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر (وثيقة قديمة عن حياة نساك الصوامع في الاسلام)، تر لميس الشجني ، اع وتق موحد ومادي ، منشورات مؤسسة تالوت الثقافية ، 2006م ، ص24.

³ - الدرجيني ، الطبقات : ج1 ، ص3-4.

⁴ - روبيرتو روبيناتشي : المرجع السابق ، ص 24.

⁵ - محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص600.

⁶ - روبيرتو روبيناتشي : المرجع السابق ، ص9.

¹، وكان ذلك سنة 409هـ/1018م وهو التاريخ الذي شرع فيه بتطبيق مبادئ هذا النظام في أول حلقة بغار في "تين يسلي"² .

3-2 القائمين على نظام العزابة (هيئة العزابة):

لما كان هؤلاء يجتمعون في مكان سري بعيد عن المدن والتجمعات أطلق عليهم اسم **هيئة العزابة** وهي تتألف من أعضاء يتراوح عددهم عشرة أعضاء أو ستة عشر عضوا حسب حجم المدينة أو البلدة أو القرية³، هؤلاء الذين صنفهم الدرجيني إلى صنفين في قوله "وأهل الحلق صنفان أمر ومأمور فالأمر اثنان : شيخ الحلقة أو مستتابه ، والعريف ، فالعريف اثنان منفرد وغير منفرد فالمنفرد اثنان عريف أوقات الختمات والنوم ، وعريف العرفاء ، وهم من حملة القرآن...والعريف على أوقات الدراسة ربما كان واحدا وربما أكثر فهو على قدر الاحتياج إليه ونحو ذلك ، والمأمور طبقة القرآن ، وطبقة فنون العلم ، والعاجزون"⁴ ولهم مهام يقومون بها.

3-2-1 مهام أهل الحلق وشروطهم :

3-2-1-1 الأمرين: * شيخ العزابة : يكون أعلم أهل المدينة ويمتاز بقوة الشخصية والقدرة على حل المشاكل يمثل سلطة الإمام العادل في المجتمع ويبقى في منصبه مدى الحياة⁵ ومن مهامه:

- تعيين أهل الحل والعقد (الرجال الأربعة)، ويتزعم الحلقة ويليه مستتابه (خليفته) والذي يحل محله عند الحاجة

¹ - الدرجيني : الطبقات ، ج1 ، ص4

² - **تين يسلي** : وهي بلدة أعمر بالقرب من مدينة تشرت جنوب شرق الجزائر حاليا . أنظر: روبرتو روبيناشي : المرجع السابق ، ص5.

³ - محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص600-601.

⁴ - الدرجيني : الطبقات ، ج1 ، ص172.

⁵ - محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص602.

-تأثيره على العزابة كبير فهو يحكم ، يدير ، يقيم ويصدر الأحكام ويعلم ، وهو مسؤول عن الممتلكات المادية والاهتمامات الروحانية .

***أهل الحل والعقد(المستشارون):**وهم أربعة رجال يعينهم شيخ الحلقة¹ لا يزيدون ولا ينقصون ، ورأيهم ملزم للشيخ ، ولا يقطع أمرا دون موافقتهم².

ويجب أن يكون هؤلاء من المسبوقين في الهجرة (بعد سقوط الدولة الرستمية) وهم كالقطب لا يتحركون عن مواضعهم حتى يقبضهم الله ، وإذا مات أحدهم خلفه أحد من العزابة³.

***باقي العزابة :**عدهم عشرة أو أكثر وهم :**المؤذن** وهو المسؤول عن تحري أوقات الصلاة ويمكن أن يكون أحد الأربعة المستشارين ، **المعلمون**⁴ وهم ثلاثة رجال أو أكثر يقرئون الصغار في المحاضر⁵ ، **وكلاء الأوقاف** يشرفون على اصلاح وتنمية الأوقاف وضبط الواردات والصادرات وميزانية الحلقة ويشترط أن يكونا من متوسطي الحال لا من الأغنياء ولا من الفقراء ، **حقوق الموتى** ويخصص أربعة أشخاص أو خمسة يتولون الاشراف على كافة الاجراءات الدينية لدفنهم ، ومراقبة تنفيذ وصيتهم وتقسيم الارث⁶ .

3-2-1-2-المأمورين: أما المأمورين فهم : **طلبة القرآن -طلبة الأدب - العاجزون** (منهم الطرش والعميان والزمنى والهارمون وذوي الأفهام القاصرة)⁷.
أما عن شروط الانتساب للعزابة فهي كما يلي:

3-3 شروط الانتساب إلى العزابة:هناك شروط يجب أن تتوفر في العزابي حتى ينظم إلى الحلقة أهمها :

¹ - سامية مقري : المرجع السابق ، ص73.

² -محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص602.

³ -سامية مقري : المرجع السابق ، ص73.

⁴ - محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص602.

⁵ -سامية مقري : المرجع السابق ، ص74.

⁶ - محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص602-603.

⁷ -سامية مقري : المرجع السابق ، ص74.

-أن يكون حافظا لكتاب الله وأن يشهد له أساتذته بحسن السلوك أثناء الدراسة محافظا على الزي الرسمي للعزابة¹ عندما يدخل الحلقة ، وان يكون عالما استوفى مراحل الدراسة وأن ينصرف عن الدنيا ومشاغليها²

-أن يكون أديبا كيما وأن يكون مشمرا في طلب العلم ، أن يغسل جسده بالماء وقلبه بماء وسدر فالجسد يغسله من الدنس والقلب من الغش والتكبر³.

وتعود هذه الشدة في الشروط أن العزابي يجب أن يكون قدوة ومثالا للاستقامة ، وبذلك يكون هذا النظام امتدادا لنظام الحلقة الذي كان على عهد الرستميين ، ولا يزال متبعا في بعض المناطق إلى يومنا هذا.

¹- "أن لا يلبس ثوبا مصبوغا إلا البياض... ثم إن اقتصر على عباءة أو ملحفة لم يشنه ذلك ولم يعبه بل ذلك به أليق ، وإن لبس ذلك على قميص كان أكمل ". أنظر : الدرجيني: الطبقات ، ج 1 ، ص 171.

²- محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص 607.

³- سامية مقري : المرجع السابق ، ص 71.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لهذا الموضوع خلصنا إلى جملة من النتائج والاستنتاجات والتي من بينها:

- أن الإباضية هي إحدى فرق الخوارج ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها عبد الله بن إباض هذا الأخير الذي جهر بمبادئها ، غير أن واضع أسسها الأولى هو جابر بن زيد الأزدي ، وقد كانت أقرب المذاهب الخارجية لأهل السنة في مبادئها وآرائها.

- أن سبب انتقال الإباضية من المشرق إلى بلاد المغرب ، هو ظلم وجور حكام بني أمية وولاتهم وبعدهم العباسيين الذين انتهجوا نفس سياسة بني أمية ، فحاربوهم ومنعوهم من نشر مذهبهم في المشرق.

- وتعود أسباب اختيار الإباضية لبلاد المغرب الأوسط دون غيره ، هو أن أول ما بدؤوا في نشر مذهبهم كان في المغرب الأدنى ، غير أن العباسيين حاربوهم ، وتمكنوا من القضاء على إمامهم أبي الخطاب وملاحقة ما بقي منهم ، فقرروا إيجاد موطن خاص بهم فاختاروا المغرب الأوسط وهو المكان الذي أوى إليه عبد الرحمن بن رستم هربا من مطاردة العباسيين ، فالتقت حوله الإباضية وبايعوه بالإمامة ، بعد اختيارهم لمدينة تيهرت كعاصمة لدولتهم وبنائها وجعلها مركزا لنشر مذهبهم .

- بعد الاعلان عن قيام الدولة الرستمية في تيهرت وتثبيت دعائمها توالى على حكمها أئمة بني رستم ، وكان عددهم ثمانية ، فتميزت الدولة في عهد الأئمة الثلاث الأوائل بالقوة والحزم والحنكة في إدارة شؤونها ، بينما تراجع حالها وكثرت فتنها وحروبها بعد مخالفة أئمتها نهج الأوائل فأدى ذلك إلى تراجعها في جميع الميادين وخاصة عهد الامام أبي بكر بن أفلح وأبي حاتم وأبن أبي اليقظان هذا الأخير الذي سقطت في عهده الدولة على يد العبيديين .

- كان المجتمع الرستمي عبارة عن فسيفساء متنوعة تتألف من عدة عناصر سكانية وملل ونحل مختلفة ومتباينة ، فكان فيها العرب والبربر والأفارقة والأندلسيين ، وكذا اليهود والنصارى .

- عجت الدولة بمختلف المذاهب والفرق نتيجة تسامح أئمتها ، فكان فيها المالكية والحنفية والمعتزلة والشيعة على الرغم من أن مذهب الدولة هو المذهب الإباضي فكانت تعقد بنهم المناظرات كما تنوعت حلقات العلم ، وازدهرت الحياة العلمية وتطور التعليم.
- ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار العلم والتعليم هو ازدهار الحياة الاقتصادية التي أثرت على العلم وخاصة انتعاش التجارة ورحلاتها التي كانت رحلات تجارية وعلمية في ذات الوقت كما كان للرحلات الحجية والعلمية إلى المشرق دور في استزادة الطلاب المغاربة في الجانب العلمي ونقلها إلى بلاد المغرب .
- منافسة الدولة الرستمية في المجال العلمي والفكري لنظيراتها في بلاد المشرق والمغربيين الأدنى والأقصى ، وبلوغها مكانة عظيمة جعلت من مدنها وحواضرها مقصدا لطلاب العلم والعلماء من كل بقاع العالم الاسلامي .
- تضلع أئمتها في مختلف العلوم ، وتشجيعهم للعلم وعملهم على نشره ، فقد كانوا معلمين ولهم حلق خاصة بهم في المساجد، كما قاموا ببناء المؤسسات والمراكز العلمية ، من كتاتيب ومساجد ومكتبات ، وفتحوا قصورهم لذلك.
- ازدهار العلوم وتنوعها ، وظهور مختلف الفنون والتخصصات من علوم عقلية وأخرى نقلية ، ومساهمة ائمتها في تطوير الحياة الفكرية بانتهاجهم لسياسة التعايش والتسامح المذهبي ، فنشطت حركة التأليف وكثرت المناظرات العلمية والفقهية ، وقد ظهرت طبقة من العلماء الإباضية الذين كان لهم وزن كبير في كامل البلاد الاسلامية .
- عناية الرستميين بتعليم وتنقيف المرأة ، فكانت لها مكانة ودور مهم في مختلف العلوم ، واشتهرت العديد منهن في مختلف العلوم والتخصصات ونافست الرجال في ذلك وكان منهم حتى العبيد والإماء.
- كان التعليم على مراحل فأولها كان التعليم الابتدائي ، الذي كان يتم في الكتاتيب وهي تخص الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، واقتصر التعليم فيها على العلوم الشرعية ، ثم تليها المرحلة الثانوية أو المتوسطة ، والتي لم يكن لها سن محددة لولوجها ، وكانت تتم في المساجد ويقتصر برنامج دراستها على الكتب المبسطة ، ثم تليها مرحلة التعليم العالي هذه الأخيرة التي يصل إليها الطلاب الأذكياء الراغبين في مواصلة التعليم ، وهي غير محددة بسنوات وكانت تتم في المساجد ومنازل العلماء وقصور الأئمة.

- تتوع طرق القاء الدروس ومناهجها ، فكان لكل مرحلة طريقة ومواد خاصة ، فاعتمد في المرحلة الابتدائية على طريقة التلقين والحفظ (التكرار) ، وكانت تستخدم فيها الألواح، أما في المراحل العالية فاعتمدت فيها طريقتان وهما: حلقات العلم والمناظرات ، فكانت تقام على شكل مواعظ ودروس للعامة والخاصة أو عن طريق الجدل والجدال .

وبعد سقوط هذه الدولة التي أسهمت في ازدهار الحياة الحضارية في المغرب الأوسط خاصة والبلاد الإسلامية عامة استمر نظام التعليم الإباضي بنفس الوتيرة، وربما أصبح أكثر تنظيما ومنهجية سواء من حيث اللباس أو التنظيم الإداري أو المواد المدرسة، وسمي هذا النظام بالعزابة الذي أسسه محمد بن بكر بن أبي بكر الفرستائي في ق4هـ، والذي كان قائما على أسس وقواعد صارمة ، وكان امتدادا لنظام حلقات المساجد ، ولا يزال هذا النظام قائما إلى يومنا هذا في بعض المناطق الجنوبية من الجزائر الحالية

قائمة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً-المصادر

-المصادر المطبوعة

- 1- ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج2، ج5، ط2 ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985م.
- 2- ابن الأثير : عز الدين أبو حسن ، الكامل في التاريخ ، ج5 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 2012م.
- 3- الباروني ، عبد الله : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج2، مطبعة الأزهار البارونية ، تونس، [د.ت]
- 4- ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ط1، تق و تع عبد المنعم العريان ومصطفى القصاص ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، لبنان ، 1987م.
- 5- البغدادي ، عبد القاهر بن الطاهر : الفرق بين الفرق ، تح محمد بن محي الدين ، مكتبة محمد علي الصلابي وأولاده ، [د.ت].
- 6- البكري ، أبو عبد الله : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1857م.
- 7- البلاذري ، ابو العباس أحمد بن يحيى: فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1988م.
- 8- ابن خردادبة : المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1881م.
- 9- ابن خلدون ، عبد الرحمن : مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2004م.
- 10- ابن خلكان ، محمد بن بكر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، مج3 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1970م.

- 11- الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج 2 ، تكملة وتعليق أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التتوخي، تحقيق محمد الأحمد ومحمد ماضيو ، نشر مكتبة الخانجي بمصر و المكتبة العتيقة بتونس ، [د.ت]
- 12- الدرجيني ، أحمد سعيد : طبقات المشايخ بالمغرب ، ج 1، ج 2، تح ابراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1974م.
- 13- الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1863م.
- 14- الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ، ط 1 ، تحقيق وتقديم وتعليق محمد زينهم ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، [د.م] ، 1994م.
- 15- الزركلي،خير الدين:الأعلام،ج2، ط1،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، 2002م.
- 16- أبو زكرياء ، يحيى بن أبي بكر: سير الأئمة وأخبارهم ، ط 2، تحقيق إسماعيل العربي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1982م.
- 17- ابن سحنون : آداب المعلمين ، تح حسن حسين عبد الوهاب ، مراجعة وتعليق محمد العروسي المطوي ، دار تونس للنشر ، 1972م.
- 18- السيوطي ، جلال الدين أبي بكر : تاريخ الخلفاء ، ط 1 ، تحقيق عيسى محمد أحمد ، دار الغد الجديد للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2013م.
- 19- الشماخي ، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد : كتاب السير ، ج 1، تحقيق أحمد بن سعود السيادي ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، 1992م.
- 20- الشهرستاني،محمد بن عبد الكريم،الملل والمحل،مج1،مطبعة بولاق،مصر،1563م.
- 21- ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ج 2، تحقيق محمد ناصر وابراهيم بحاز ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، مارس 1985 م .
- 22- ابن عذارى ، أبو العباس أحمد بن محمد : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، ج 1، ط 1، تحقيق بشار عواد ومحمود بشار عواد ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2013م.

- 23- القابسي ، أبو الحسن علي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، ط1، دراسة وتحقيق وتعليق أحمد خالد ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1986م.
- 24- القزويني ، زكرياء بن محمد : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، [د.ت.].
- 25- المالكي ، أبي بكر عبد الله بن محمد: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكلهم ، ج2 ، ط2 ، تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1994م.
- 26- مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، 1985م.
- 27- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط3 ، مكتبة مدبولي ، مصر ، 1991م.
- 28- ياقوت الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين : معجم البلدان ، ج1 ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، [د.ت.].
- 29- اليعقوبي ، أحمد بن أبي سعبوب : تاريخ اليعقوبي ، ج2 ، مطبعة بريل ، 1883م.
- 30- _____، _____ : كتاب البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين ضاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، [د.ت.].

ثانيا - المراجع

- 1- إبراهيم حسن ، حسن : تاريخ الاسلام السياسي الديني والثقافي ، دار الجيل، بيروت ومكتبة النهضة المصرية ، 1996م .
- 2- إسماعيل ، عبد الرزاق محمود : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط1 ، دار الثقافة ، المغرب ، 1985م .
- 3- الأهواني ، أحمد فؤاد : التربية في الإسلام ، دار العارف ، مصر ، 1968م .
- 4- بحاز ، إبراهيم : الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الثقافية ، ط2 ، جمعية التراث ، قسنطينة ، 1993م .

- 5- بلغيث ، محمد لمين : أصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي ، ط1 ، مطبعة انتر سيتي ، الجزائر ، 2007 م .
- 6- بوزياني ، الدراجي : دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع والترجمة ، الجزائر ، 2007 م .
- 7- الحريري ، محمد عيسى : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية ، ط3 ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1987 م .
- 8- حسين حمودة ، عبد الحميد : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية ، ط1 ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، مصر ، 2006 م .
- 9- دبوز ، محمد علي : المغرب الكبير ، ج3 ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، د: م ، 2010 م .
- 10- رمضان شاوش ، محمد : الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي ، ط1 ، المطبعة العلوية للنشر ، مستغانم ، 1966 م .
- 11- روبيناتشي ، روبرتو : العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر (وثيقة قديمة عن حياة نساك الصوامع في الإسلام) ، ترجمة لميس الشجني ، إعداد و تقديم موحمد ومادي ، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية ، [د. م] ، 2006 م .
- 12- الزاوي، الطاهر أحمد: الفتح العربي في ليبيا، ط4، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2004 م .
- 13- أبو زهرة ، محمد : تاريخ المذاهب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة، [د. ت] .
- 14- سالم ، السيد عبد العزيز : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع الإسكندرية ، مصر ، 1999 م .
- 15- ——— ، ——— : دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول ، ج 3 ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، مصر ، 1993 م .
- 16- شبانة ، محمد كمال : الدويلات الإسلامية في المغرب ، ط1 ، دار العالم العربي ، القاهرة ، مصر ، 2008 م .

- 17- الصلابي ، محمد علي : الإباضية مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج ، ط1 ، منشورات علي الصلابي 2018 م - 2019 م .
 - 18- ضيف ، شوقي : عصر الدول والإمارات (الجزائر - المغرب الأقصى - موريتانيا - السودان) ، ط1 دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1995 م.
 - 19- طه ، ذو النون : أبحاث في تاريخ المغرب و الأندلس صور من التواصل الحضاري مع المشرق ، ط1 دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، 2014 م.
 - 20- العبادي ، أحمد مختار : التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، [د.ت] .
 - 21- عبد الكريم ، جودت : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1984 م.
 - 22- _____ ، _____ : الأوضاع الاقتصادية و الإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10 م) ، مكتبة طريق العلم ، الجزائر ، 1992 م .
 - 23- عبد الدائم ، عبد الله : التربية عبر التاريخ (من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين) ، ط5 دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1984 م.
 - 24- عمورة ، عمار : موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، القبة ، الجزائر ، 2002 م.
 - 25- كوردي ، محمد حسين : الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي ، منشورات مؤسسة تاوالت ، طرابلس ، 2008 م.
 - 26- ليو فتسكي ، ثاديوس : المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، ط1 ، ترجمة ماهر جرار و ريماء جرار دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2000 م.
 - 27- ابن مصطفى ، أحمد : مفتاح السيادة ومصباح السعادة في موضوعات العلوم ، مج 1 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، [د.ت] .
- ثالثا - الرسائل الجامعية:

- 1- طاهر منصور ، خديجة : العلماء المشاركة ببلاد المغرب ودورهم في الحركة الفكرية (140 هـ - 668 هـ / 757 م - 1296 م) ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة وهران 1 ، 2018-2019 م.
 - 2- علي ، محمد : الإشعاع الفكري في المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثالث الهجريين / السابع والتاسع الميلاديين ، أطروحة دكتوراه في تاريخ الغرب الإسلامي ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، 2015-2016 م.
 - 3- قرواش ، سومية : إسهامات علماء تيهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي (160 هـ - 296 هـ / 777 م - 909 م) ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي الوسيط ، جامعة الجيلالي الياصب ، سيدي بلعباس 2018-2019 م.
 - 4- مطهري ، فطيمة : مدينة تيهرت الرستمية - دراسة تاريخية حضارية (القرن 2- 3هـ/8-9م) : ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2009-2010 م.
 - 5- مقري ، سامية : التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام الغزابة (296-409 هـ / 909 م - 1081 م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2005-2006 م.
- رابعا - المجالات والدوريات**
- 1- حياوي فراس ، سليم وحמיד ، محمد عيسى : الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية (160 هـ - 296 هـ / 776 م - 907 م) ، مجلة كلية التربية الأساسية - جامعة بابل ، ع 10 / كانون الثاني 2013 م.
 - 2- الفيل ، محمد رشيد : أثر التجارة و الرحلة في تطور المعرفة عند العرب ، نشرة دورية تعنى بالبحوث الجغرافية ، الكويتية ، ع9 / سبتمبر 1979 م .
 - 3- الكونوني ، آسيا : مدخل إلى المناظرات الدينية بالغرب الإسلامي ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط ، ع23 / 2016 م.
 - 4- لوفتسكي ، ثاديوس : " دولة تاهرت بشمال إفريقيا " مجلة عصور الجديدة ، ع 19-20 / أكتوبر 2015 م.

خامسا - المعاجم والموسوعات

- 1- جماعة من كبار اللغويين العرب : المعجم العربي الأساسي ، تقديم محي الدين صابر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 2003م.
- 2- علي حسن ، حسن : موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي (المغرب الاسلامي 122هـ - 923هـ) ، شركة سفير للنشر ، مصر ، 1996م.

سادسا-المواقع الالكترونية

- بجاز ، ابراهيم:"التعليم في المغرب الأوسط خلال القرون الثلاث الهجرية الأولى (7-9م) ، 2010م ، "www .amazigh world .

ملخص:

تتدرج هذه الدراسة ضمن الدراسات التاريخية ذات الطابع الاجتماعي والثقافي حيث أوضحنا من خلالها واقع التعليم ومؤسساته في المغرب الأوسط خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين في تيهرت الرستمية، فلقد أصبحت هذه المدينة مركزا للإشعاع الثقافي في بلاد المغرب عامة وأضحت تنافس كبريات الحواضر في المشرق والمغرب، وذلك راجع لحكامها وانتهاجهم لسياسة التسامح والتعايش السلمي مع الفرق والمذاهب الأخرى، وقد كان لعلمائها دور فعال في نشر التعليم بين فئات المجتمع الرستمي، هذا التعليم الذي كان على مراحل ثلاث ابتدائي وثانوي وعالي، فنبت في الدولة الرستمية عديد العلماء والعالمات في مختلف الفنون والعلوم، مما أسس لحضارة لم يشهد لها المغرب الأوسط مثيلا، وتمكنت بفضل اهتمامها بالعلم ورجالاته من التربع على عرش المغرب الأوسط حوالي قرنين من الزمن تحول خلالها المغرب الأوسط تحولا جذريا وخاصة في الجانب الحضاري وامتد تأثيرهم إلى خارج حدود دولتهم، وحتى بعد سقوط دولتهم استمروا في العطاء العلمي فكان نظام العزابة الذي تميز بتنظيمه المحكم امتدادا للتعليم الاباضي في العهد الرستمي.

الكلمات المفتاحية: التعليم - المؤسسات التعليمية - المغرب الأوسط - تيهرت

Résumé :

Cette étude s'inscrit dans le cadre des études historiques à cadre social et culturel, ou avons esquisé à travers elle la réalité de l'éducation et de ses institutions du Magreb moyen au 2^{ème} et 3^{ème} siècles AH à Teht Rustumiya. Cette ville est devenue un centre de rayonnement culturel dans les pays du Magreb en général, elle est en concurrence avec les grandes villes orientales et du Magreb. Cela est dû à son dirigeant et à leur poursuite d'une politique de tolérance et de coexistence pacifique avec d'autres sectes, et ses avant-gardes qui ont joué un rôle efficace dans la société Rostomi.

Cette éducation, qui s'est déroulée en trois étapes (primaire et lycée et l'enseignement supérieur), tant d'érudits et de scientifiques dans diverses sciences et arts sont apparus dans l'état de Rostomi, qui a jeté les bases d'une civilisation que le moyen-orient n'a jamais vue, et grâce à son intérêt pour la science et ses hommes, il a pu occuper le trône du moyen Magreb environ 2 siècles. Pendant le Magreb du moyen-orient, une transformation radicale, en particulier dans l'aspect civilisation, et leur influence se sont étendues au-delà des frontières de leur état, et même après la chute de leur état, ils ont continué dans le domaine scientifique, de sorte que le système de célibat qui se distinguait par son organisation serrée était une extension de l'éducation Tbatthi à l'époque de Rostami.

Mots clés: Education - Établissements d'enseignement - Moyen Maroc - Tihert

نم بحمد الله